معك يا ولدي
في رحاب
التشيّع الصّادق

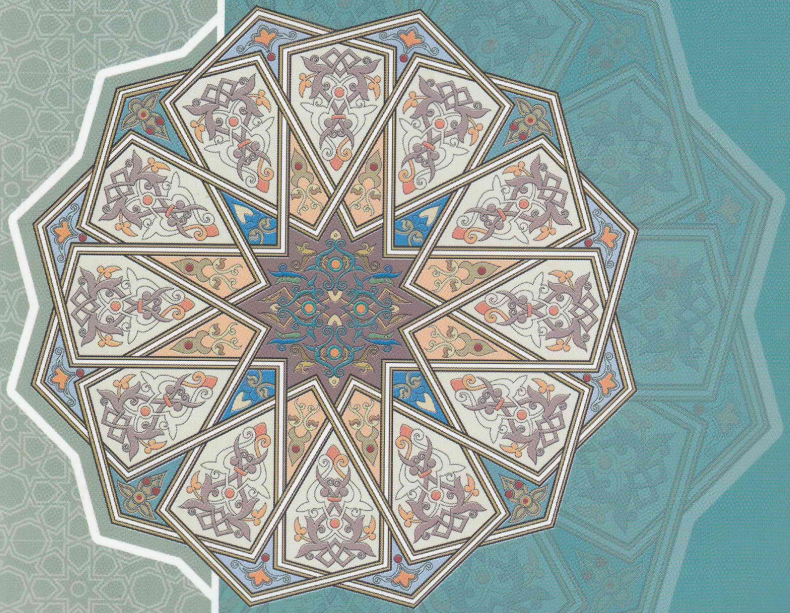

بقلم
الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

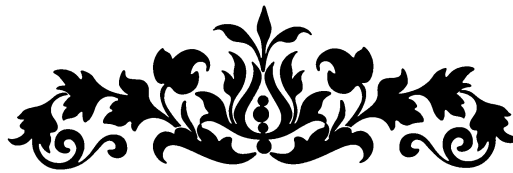

معك يا ولدي

في رحاب

التشيّع الصّادق

بقلم

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

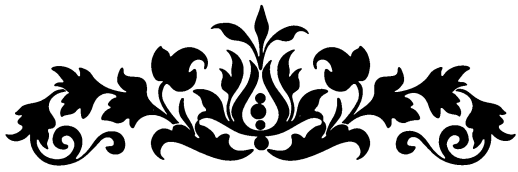

الكتاب: معك يا ولدي في رحاب التشيّع الصّادق.

المؤلف: الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي.

التدقيق اللغوي: لؤي عبد الرزاق فرج الله الأسدي.

الإخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.

المطبعة: دار الضياء / النجف الأشرف

الطبعة: الثانية.

عدد النسخ: ٢٠٠٠

شبكة الفكر
alfeker.net

الإهداء

إلى / الذين قالوا ربنا الله ثمّ استقاموا.

إلى / كل من يريد أن يحمل زاده في رحلته إلى الله تعالى من ولاء أهل البيت عليهم السلام

إلى / كل من يريد عدّة الصّمود والثبات لمواجهة التحدّيات.

إلى / أتباع الكتاب والعترة الأباة، أهدي هذا الجهد، القاصر عن بلوغ سوامق الخصال والصّفات، التي خصت لشيعة أهل البيت الهداة عليهم السلام.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۞ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ

البينة: ٧ – ٨

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه الأمين، وسيد رسله الداعي إلى الحق المبين، والهادي إلى صراط مستقيم، محمد وآله الهداة الطاهرين.

لا شك في أن الله عزّ وجل، قد شمل الإنسانية عامة بموقع التكريم العام، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾[1].

وبعد معرفتنا لهذا الموقع العام - يا ولدي - علينا أن نعرف أنّ الله عزّوجل قد خلق في صلب آدم عليه السلام خلقا هو أشرف الخلق منشأ، وأنصعُه صفاءً، وأعبقه شذىً، وأنقاه وجوداً، وهو وجود رسول الله محمد وأهل بيته الغر الهداة (صلوات الله وسلامه عليهم).

هؤلاء هم المثل الطاهر، الذي تحدّى به الله عزّ وجل تصوّر الملائكة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) الإسراء: ٧.

(٢) البقرة: ٣٠.

إشارة إلى أنّ هناك خلقاً طاهراً هم صفوة الخلق وقدوته، ولأجلهم خلق جميع الخلق، وهؤلاء هم سبب نجاة الذين اتخذوهم قدوة وهادين إلى الله عزّوجل.

إنهم أهل البيت (عليهم الصّلاة والسّلام) الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فأثبت ذلك في محكم كتابه وعزيز خطابه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١).

وهم سبب سموّ وكمال ثلة من الناس الذين سمّوا بشيعة أهل البيت عليهم السلام الذين هم موضع ثناء وتكريم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

مع ما جاء في الكتاب الكريم من التعريف بموقعهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۞ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(٢).

ولكن من حقك -يا ولدي - ومن حق كل أحد أن يسأل: أين الشيعة اليوم من هذا الموقع؟ وهل كل من انتحل التشيع هو من خير البرية؟.

وقبل الجواب عن هذا السؤال. أقول: على المؤمن المخلص لرسالة الولاء لأهل البيت عليهم السلام أن يسعى جاهداً في مدارج الرقي والتكامل، وأن لا يتحسّس الانتقاص من إيمانه وقدره إذا ما قلنا في الجواب: أن من خلال التعايش مع واقع الشيعة الذين تبلغ نسبتهم الكلية في هذه البلاد من ٦٥ - ٧٠ ٪. وجدتهم على ثلاث فئات:

الأولى: فئة مؤمنة واعية لواقعها، تعرّض المؤمنون في هذه الفئة إلى ألوان شتى من المحن والمصاعب والاضطهاد والملاحقة من زمن الطاغية المقبور وإلى حد الآن وهم ٢٠٪ من النسبة الكلية، ولا يزال هؤلاء تحت طائلة الإرهاب والتهديد والتهجير

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) البينة: ٧ - ٨.

والاغتيال والتصفيات.

الثانية: فئة تشكل ٣٠٪ من تلك النسبة، لا يزالون يعظون على أنامل الندم على نظام المقبور ويحنون إليه علناً أو سرّاً، وهم يشعرون بأن هيبتهم ومكانتهم المرموقة التي مُنحت لهم آنذاك قد سقطت بسقوط الصنم، ومنهم من يود الإنخراط في تنظيم العودة آملين أن تعود سلطة البعث بثوب جديد.

فما كان يحرك ضمائر أولئك ما يشاهدون آنذاك من عمليات التنكيل والقمع الصدامي. لأنهم مخدرون بالعناوين الحزبية والمناصب والمراكز الاجتماعية والمكافآت الماديّة منذ اعتلاء صدام على مركز السلطة في البلاد، ممّا أدى إلى موت الحس المذهبي فيهم.

فهم كما قال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً ذلك الرعيل الذي غرته الدنيا ودفعته الأطماع للسير في ركاب الطغاة الظالمين. فقال: «**سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم فأصبحتم إلبا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم**»(١).

فراحوا يؤثرون مصالحهم وذواتهم على مصلحة الدّين والمذهب، وإلى هذا اليوم الذي تتحرّك فيه الأحقاد. ويلقى فيه المؤمنون ما يلقون من الأذى والظلم، فيليق بهذه الفئة أن نقول:

واهــــاً لقوم غرّهم ... صدام بالدنيا الوضيعةْ
ومضوا على نغم الوعو ... د يعظّمون له صنيعةْ
مستسلمين له وقد ... شهدوا جرائمه الفظيعةْ
فاستهتروا بالحق والـ ... إنسان والقيم الرّفيعةْ
كذباً قد ادّعوا التشـ ... يّع للحسين فأيُّ شيعةْ

---

(١) اللهوف - لإبن طاووس -: ١ / ٣٦ - ٣٧.

غـرقـوا بـدنيـا المغـريـا ت ومـا بهـم أذن سميعةْ
فـاسـأل بهـمْ يـا صـاح أيـ ـبنم وأيـن هُـدى الـشريـعـةْ
بيـن الحسـين وبينهـم صـدّام قـد صَـنَـع القطيعةْ
قـد قـالهـا مـن قـبل شـا عـره وقـد أهـمى دمـوعـهْ
(أتـرى تمـرّ فجيـعـةٌ بـأمـرّ مـن تـلك الفجيعةْ)

الثالثة: فئة مذبذبة لا إلى هذا ولا إلى ذاك، وهم الباقون من هذا الطيف، يحدوهم الخوف، وتقيمهم وتقعدهم القوّة، أُسودٌ إذا أمنوا البأس ونعاج إذا حمي الوطيس، لا يهمهم أين رست كفة القوّة، في هذا أو في ذاك، مع الحق أو مع الباطل.

فهم مع الأقوى الذي يضمن لهم العيش والرغيف، هؤلاء يفتقدون اليقظة والوعي بمحيطهم. ولا يملكون تجاه الحق إلا عواطفهم الفارغة، التي قد تدفع بهم إلى مناصرة الظالم ما زال يلوّح لهم بإملاء بطونهم. ولو على حساب الولاء لرسالتهم وقادة دينهم هم.

فمن أجل بلورة بعض الخصائص والصفات. التي ترمز إلى شخصية الإنسان الشيعي - يا ولدي - وما هو موقعه في نظر أهل البيت عليهم السلام. والتي يمكن أن تكون المقياس الذي نرجع إليه في تحديد درجة الصدق في مدّعانا. ومستوى شخصيتنا الشيعية. يدور الحديث في الآية على ثلاثة محاور:

المحور الأول: نظرة في مقاطع الآية الكريمة.

المحور الثاني: الشيعة مركز الثقل في الآية.

المحور الثالث: مسؤولية الشيعة تجاه رسالة الولاء.

ومن الله نستمدّ العون وهو وليّ التوّفيق ومنه نتوقع حسن الختام.

المؤلف

المحور الأول

وقفة مع مقاطع الآية الكريمة

الآية في مقام الوعد

أترى - يا ولدي - أنّ من خلا ل النظر في آيات الكتاب الكريم التي تخص مشاهد الآخرة. نجد أن القرآن الكريم. في خلال عرضه لتلك المشاهد. قد اتخذ أسلوبين:

الأول: أسلوب الوعيد، الذي يعني ترهيب هذا الخلق بما أعدّ الله تعالى للعاصين من ألوان العذاب الأخروي، بهدف ردع الإنسان عن معاصيه.

الثاني: أسلوب الوعد، الذي يعني ترغيب الخلق وتشويقهم بما أعد الله تعالى ووعد من النعيم، والفوز بروضات الجنات، ليزداد الإنسان المؤمن جدّاً ومثابرة في سبيل صنع هذا المستقبل.

وبتقديم الوعيد على الوعد في هذا السياق القرآني الشريف، بقوله عزّ وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾[1]. وتأخير الوعد الذي عرضت له الآية المتقدّمة في صدر الحديث إشارة إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إنّ الوعيد كالدّواء الذي يتكفل بمسح آثار المرض، وينقي البدن من مخلفات العلة قبل إعطائه الغذاء، لأنّ البدن - كما قال بقراط في كتاب (الفصول):

---

(١) البينة: ٦.

«البدن غير النقي كلّما غذوته زدته شرّاً»[١].

وقد جاء النيسابوري بهذا القول في تفسيره - البدن غير النقي كلّما غذوته زدته شرّا- شاهداً على موقف اليهود والنصارى من النبيﷺ حيث أصرّوا على الجحود والإنكار. ولم ينفع بهم ما أنزل من الحق. وما ازدادوا إلا إعراضاً وتنكراً للرّسالة. إلا أنْ تمسح تلك الرّواسب العالقة في قلوبهم التي حجبتهم حتى عن أساسيات توراتهم وإنجيلهم فضلاً عن القرآن الكريم. فقال تعالى عنهم:

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

فكذلك هنا كأنّ الله عزّ وجل أراد بالوعيد أوّلاً. أنْ يمسح ما في قلب الإنسان من شقوة الذنوب وحمّة الخطايا، ليكون مستعدّا للتأثر بالوعد والتشويق إلى نعيمه في رياض الجنان، والإحساس بطعمه.

الأمر الثاني: إن قلب الإنسان كالجلد إذا دبغ تماسك وأصبح صالحاً للمداس ـ على حد تعبير بعض المفسرين ـ فكأنّ الله أراد بهذا السياق أن يدبغ قلب الإنسان بالوعيد، ويرهبه بالشدائد الأخرويّة حتى يرجع إلى الله تعالى تائباً منيباً .

الأمر الثالث: إن تقديم الوعيد على الوعد في هذا السياق. قد يرمز إلى بشارة الله تعالى للإنسان، بأنّ خاتمة المطاف معه في اليوم الآخر، أن يختم له الله بالخير، ويخرجه إلى الجنة طاهراً بعد أن يذوق جزاء أعماله وتبعات ذنوبه.

ولذلك جاءت كلمة ﴿أبداً﴾ في الوعد بقوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ

(١) نظام الدين محمد بن الحسن النيسابوري - تفسير النيسابوري: ٢ / ١٨٧.
(٢) المائدة: ٦٨.

عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ولم تأت في آية الوعيد بقوله تعالى: ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾. علاوة على ذلك: أن الوعيد لا يلزم تنفيذه، بخلاف الوعد الذي يلزم الكريم تنفيذه.

كما روي أنّ أعرابياً سأل رسول الله ﷺ فقال: من يحاسبنا يوم القيامة يا رسول الله؟ فأجابه ﷺ: **الله يحاسبنا، فضحك الأعرابي** وقال: لقد نجونا يارسول الله، فقال ﷺ: وكيف؟. قال الأعرابي: «إن الكريم إذا وعد وفى وإذا توعّد عفى»[1]. وكانت العرب قد افتخرت بصدق الوعد وخلف الوعيد، ولم تعده نقصاً كما يدل عليه قول شاعرهم:

وإني إذا أَوْعَـدْتُـه أو وَعَـدْتُـه ... لَمُخْلِفُ ايعادي ومُنْجِزُ مَوْعِدي

*****

(١) محمد الريشهري – ميزان الحكمة –: ٩ / ٦.

الإيمان حركة في الحياة

إعلم - يا ولدي - إنّ الإيمان الذي يبني شخصيّة الإنسان ويرفعها ويوصلها إلى غايتها التي خلقت لها، هو الإيمان المتحرّك في كلّ شرايين الحياة، وذلك ما يستفاد من منطق الآية المتقدّمة على نحوين:

النحو الأول: التعبير بكلمة ﴿**آمنوا**﴾، فإنها كلمة متحرّكة، فيها إشعار بأن الذين آمنوا، هم الذين أقاموا مضمون الإيمان عملاً وحركة، والذين انطلقوا بإيمانهم من واقع النظريّة إلى واقع التطبيق والتفعيل الدائم في واقع الحياة والتعامل الاجتماعي، وهذا المعنى قد لا تشعره كلمة (المؤمنين) لو وردت مكان كلمة ﴿**آمنوا**﴾ .

النحو الثاني: اقتران كلمة ﴿**آمنوا**﴾بـ ﴿**عملوا الصالحات**﴾ من أجل تأكيد حتمية التلازم بين الإيمان والعمل الصالح، إذ أنّ الإيمان بلا عمل لا جدوى منه، مثله مثل الطاقة المخزونة التي لا تحرّك جهازاً، ولم تدخل في واقع الحياة كقوّة منتجة. أو كالجسم العاري الذي يحتاج ما يقيه.

قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان عريان ولباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكلّ شي ء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت**»[1].

وروي - سماعاً - أن رسول الله ﷺ كان في أثناء صلاته قد سمع رجلاً يدعو:

(١) مشكاة الأنوار - لأبي الفضل الطبرسي -: ١ / ٦٧.

«اللهم آتني خير ما تؤتي خلقك» فلما فرغ من صلاته، التفت قائلا: **أين هذا الرجل الذي سأل الله تعالى؟**.

فقال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال: **ماذا سألت؟** قال: سيدي، سألت الله عزّ وجل أن يؤتيني خير ما آتى خلقه. فقال له النبي ﷺ: «**لا يكون ذلك حتى تقتل في سبيل الله ويعقر جوادك**».

فكأنه يريد أن تكون نتيجة الإيمان بهذا المستوى من العطاء والتضحيات، إذ ليس كل مؤمن ملزماً أن يقتل في سبيل الله ويعقر جواده ليستحق الخير، بل المراد أن يكون الإيمان منتجاً للبذل والعطاء للحياة بمستوى تضحية الشهيد في سبيل الله تعالى.

*****

هل المؤمن أفضل من الملائكة؟

بما أنّ الآية الكريمة قد نصّت على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية، أي أفضل من برأ الله من الخلق، فهل تصلح دليلاً على فضل المؤمن على الملائكة؟ هناك رأيان للمفسرين:

الرأي الأول: أنها لا تصلح دليلاً على ذلك، لأمور:

١ـ إن التفضيل هو على بني آدم، لأنّ بني آدم خلقوا من البرا وهو التراب، فلا تدخل الملائكة في هذه المعادلة.

٢ـ إنّ نفس تعبير الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يختص ببني آدم، بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات خير من برأ الله عزوجل من خلقه عموما.

٣ـ إنّ الملائكة قد خرجوا من هذه المعادلة تخصصا، وذلك من حيث عدم احتياجهم الى التفضيل، لكون أفضليتهم موهوبة غير مكتسبة كما هو الحال في بني آدم، وذلك:

أ ـ أصل الملائكة من النور وأصل بني آدم من حمأ مسنون.

ب ـ مسكن الملائكة في دار لم يُعصَ فيها الله عزّ وجل، ومسكن بني آدم الأرض التي هي مسرح للمعاصي والآثام.

ج ـ مصالح ورزق بني آدم منتظم بالملائكة. وذلك لحاجة بني آدم إليهم دون

العكس.

د ـ الملائكة عالمون وبنو آدم متعلمون.

هـ ـ يميل بنو آدم إلى اكتساب الذنوب، ولا يميل الملائكة إلى ذلك.

فهذه الفضائل الموهوبة تجعل الملائكة في قمّة الشرف والفضل، والمقام الذي لا يخضع لهذه المعادلة الواردة في نص الآية.

الرأي الثاني: قالوا: إن الآية الكريمة يمكن الاستدلال بها على تفضيل المؤمن على الملائكة، ولكن بغض النظر عن اختلاف الذات والموقع الذي فيه كل من الملائكة أو بني آدم، وذلك:

لأنّ الإنسان المؤمن - يا ولدي - عندما يرتقي بروحه ويسمو بنفسه إلى مصاف الملائكة في العبادة والطاعة، ويخرج ناجحاً من خضمّ الصراع مع شهوات الحياة الدنيا ونزوات النفس الأمارة بالسوء، يباهي به الله الملائكة، فيكون التفضيل للمعنى القائم في ذات البشر.

وما يؤيد ذلك حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم**»[1].

*****

(١) الوسائل - للحر العاملي -: ١٥ / ٢٠٩.

ما جزاء المؤمن عند ربه؟

إنما سمي الجزاء جزاءً - يا ولدي - لأنّ به تقع الكفاية، كما يقال: اجتزى الجائع عن الطعام بالفاكهة، بمعنى: حصلت له الكفاية بذلك، فجزاؤهم عند ربهم، يرمز إلى مضمونين:

المضمون الأول: أنّ الله عزّ وجل يدّخر في سجل عمل المؤمن. جزاءه الوافر من غير نقص. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا....**﴾[1].

المضمون الثاني: أنّ الله يعطيهم ما به الكفاية عن كلّ مطمع، فلا يبقى في نفس المؤمن شيء يطلبه. قال عزّ وجل: ﴿**نحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾[2]. أمّا لماذا قال: ﴿**عند ربّهم**﴾ ولم يقل: (على ربّهم)؟ فذلك لأمرين:

الأمر الأول: كلمة ﴿**عند ربهم**﴾ تفيد الوديعة، أمّا كلمة (على ربهم) فإنها تفيد الدّين، وذلك لو قال لك أحد: ليس لك عند فلان شيء، فإنه ينفي الوديعة ولك أن تدّعي عليه الدين، ولو قال: ليس لك على فلان شيء، فإنه ينفي الدين. ولك أن تدّعي عليه الوديعة.

---

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) فصلت: ٣١.

أما لو قال: ليس لك قبل فلان شيء، فإنه ينفي الوديعة والدين معا. وليس لك أن تدّعي عليه أحدهما.

وعلى هذا فإن جزاء عمل المؤمن وديعة عند ربه، وبما أنّ الوديعة تختلف عن الدين بأنّ لها وجوداً عينياً حاضراً متى طلبها المودع، فقد نزّل الله تعالى الجزاء بهذه المنزلة من الحضور العيني، بينما الدّين قد يكون حاضراً وقد يكون غائباً.

وبما أن الدين مضمون للدائن في ذمّة المدين، والوديعة غير مضمونة، فلا ينبغي القول في هذا المقام: إنّ المضمون خير من غير المضمون، لأنّ ما كان مودعاً عند الله عزّ وجل لا يمكن أن يتصوّر فيه التلف والضياع، كما قال الله عزّ وجل: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ...**﴾[1].

وجاء في الدّعاء: «**اللهم إني عبدك المذنب الراجي عفوك وغفرانك، والمؤمّل رحمتك، إني قد أودعتك يقيني هذا وثبات ديني وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فردّه عليّ يوم حضور موتي**».

الأمر الثاني: ألا ترى - يا ولدي - أنّ الناس إذا خافوا على أموالهم من التلف وخطر السرقة والضياع، فإنهم يسعون إلى إيداع الأموال عند أتقى الناس وأقواهم وأورعهم وأحفظهم للأمانات. أو لدى المصارف والبنوك في العصر الحاضر؟.

فكيف إذا وقعت الفتنة والخراب في بدن الإنسان المؤمن، وعاثت به تصاريف الزمان. وخاف أن يهجم الشيطان من خلال نقاط الضعف على هذا البدن، ويخرّب ما فيه من القوى والاستعدادات والطاقات، التي هي أمانات وودائع الله عزّ وجل عند الإنسان؟!.

---

(١) آل عمران: ١٩٥.

فكأن الله تعالى يقول لك: أنا الذي خلقتك وربّيتك وكنت لا شيء، ووهبتك عقلاً وقدرة وبصيرة، وهي وديعتي عندك، فعليك أن لا تضيع هذه الوديعة، كما عليّ أن لا أضيع وديعتك عندي من الجزاء والأجر والعطاء الوافر.

*****

ما هي ودائع المؤمن عند ربه؟

ومن هنا - يا ولدي - فقد فصّلت الآية الكريمة هذا الجزاء بمفردات ومصاديق، وأبرزتها في لائحة رائعة ممتعة، لا نستطيع أن نحكم عليها ونحدّدها بمقاييسنا، لأنها وراء هذا العالم.

ولكن الذي علينا أن نعطيه، هو: ملامح هذه الصورة بحسب الأمثلة التقريبية التي اعتادها القرآن الكريم معنا لتقريب الفكرة.

١. جنات

سمّيت الجنة جنة إما نسبة إلى الجنة ـ بكسر الجيم ـ المخصوصين بسرعة الحركة، لأن هذا الخلق يطوف العالم في ساعة واحدة لا يحجبه شيء، فكذلك ساكن الجنة، فإنه يصل إلى مطالبه وإلى ما يشتهي في غاية السرعة، لتجرّده عن طوق المادة.

وإما نسبة إلى الجنة ـ بضم الجيم ـ وهي الوقاية من الأذى، فالجنة وقاية من عذاب النار، فإنّ ساكنها كالجنين في غاية النعيم. لا يمسّه برد ولا حر ولا نصب، قال الله عزّ وجل: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾[1].

٢- عدن

وكلمة (عدن) تفيد الإقامة كما يقال: عدن فلان في هذا المكان، أي: أقام فيه. فالجنة

(١) الإنسان: ١٣.

دار إقامة للمؤمن ـ يا ولدي ـ خالية من كل ما يهدّد هذه الإقامة. أو ينغص ما فيها من النعيم، كما نُسِبَ إلى الإمام الحسين عليه السلام قوله يوم عاشوراء:

وشيعتنا في الحشرِ أكرمُ شيعةٍ ومبغضُنا يوم القيامةِ يخسرُ
فطوبى لعبدٍ زارنا بعد موتنا بجنة عدنٍ صفوها لا يكدّر[1]

ولسنا غافلين - يا ولدي - عما يهدّد حياة الإنسان في الدنيا من المنغصات. التي لا يراها المؤمن في دار الإقامة. وهي كما يلي:

منها: الموت، وهو أهمّ المنغصات في هذه الحياة، ولا يدع للإنسان شعوراً بلذة النعمة التي هو فيها لولا الغفلة، في الوقت الذي لا وجود لهذا الشعور في جنة الآخرة، قال الله عزّ وجل: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[2].

في الأمالي للشيخ الصدوق، عن أبي وائل. عن وهب، قال: «وجدت في بعض الكتب، أنّ ذا القرنين لما فرغ من عمل السّد انطلق على وجهه، فبينا هو يسير إذ مرّ على شيخ يصلي، فوقف عليه بجنوده. حتى انصرف من صلاته.

فقال له ذو القرنين: كيف لم يروّعك ما حضرك من جنودي؟.

قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك. وأعزّ سلطاناً. وأشدّ قوّة، ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبله.

فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي وأستعين على بعض أمري؟.

---

(١) شجرة طوبى - محمد مهدي الحائري -: ١ / ٩.
(٢) الدخان: ٥٦.

قال: نعم، إن ضمنت لي أربع خصال: نعيما لا يزول، وصحة لا سقم معها، وشباباً لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها.

فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال؟

فقال الشيخ: فإني مع من يقدر ويملكها وإياك»[١].

ومنها: ـ أي المنغصات ـ المزاحمة والطرد، فما يعكر لذة الإقامة في الدنيا هو المزاحمة والطرد، أما إذا نزل المؤمن دار الكرامة ومنزل النعيم الأخروي، فإنه لا يسلب ما أعطي ولا يخرج من دار المقامة التي أحله الله فيها، لأن المعطي هو الله عزّ وجل القادر الذي لا يعجز والكريم الذي لا يمنّ بعطائه، وكما قال عزّ وجل: ﴿**لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[٢].

ومنها: الأمراض. والهموم. والأتعاب، وتعثر الأماني والآمال. وما أكثرها كما ترى في الحياة الدنيا، أما في جنة الآخرة، فلا يتوقع المؤمن ورود ما يكدّر صفو هذه النعمة من الأتعاب والأوصاب.

كما قال الله عزّ وجل – حكاية عن حمد وثناء أهل الجنة –: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾[٣].

ومن كلام لرسول الله ﷺ في وصف دار الجنة: «..**ودار لا تبيد، لا يخرج سكانها، ولا يهرم شبانها ولا يشيب ولدانها، ولا ينفد سرورها وحبورها، ولا يبلى جديدها، ولا**

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٧.
(٢) الحجر: ١٨.
(٣) فاطر: ٣٤ – ٣٥.

يتحوّل إلى الغموم سرورُها، ولا يمسّهم فيها نصَبٌ، ولا يمسّهم فيها لغوب، قد أمنوا العذاب، وكفوا سوء الحساب، وكرم منقلبهم ومثواهم»[1].

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره عل دجلة ينظر، فإذا هو بحشيش على وجه الماء، في وسطه قصبة على رأسها رقعة، فدعا بها فإذا فيها:

تاه الأعيرج واستعلى به البطرُ فقل لهُ خيرُ ما استعملتَهُ الحذرُ
أحسنتَ ظنك بالأيام إذ حَسُنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا تَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وسالمتكَ الليالي فاغترَرْتَ بها وعندَ صفوِ الليالي يحدُثُ الكدَرُ

فما انتفع بنفسه مدة. نبغ بعد الخمول، ونجم بعد الأفول، فاستطار سناه ثم خبا، ونهض به القضاء ثم كبا[2].

وقيل: سمع الأصمعي بعض الأعراب ينشد:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف شر ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فقال: كأنه مأخوذ من قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**- الأنعام: ٤٤ [3].

٣. الأنهار

عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنّ أنهار الجنة تجري في غير أخدود، أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، طين النهر**

---

(١) بحار الأنوار- للعلامة المجلسي -: ٧ / ٣١٧.
(٢) ربيع الأبرار - للزمخشري -: ١ / ٨٩.
(٣) الكشكول - للبهاء العاملي -: ١ / ٣٨٦.

مسك أذفر، وحصاه الدر والياقوت، تجري في عيونه وأنهاره حيث يشتهي ويريد في جناته وليّ الله، فلو أضاف من في الدنيا من الجن والإنس لأوسعهم طعاما وشرابا وحللاً وحليا، لا ينقصه من ذلك شيء»[١].

فإلى جانب ذكر الجنة في السياق القرآني - يا ولدي - وكما هو الغالب - تذكر الأنهار الجارية، لأنّ قوام الجنة ونضارتها بالماء الجاري، كما أن للماء الجاري أثراً كبيراً في حياتنا، ولولاه ما استقامت الحياة على وجه الأرض، وقد قال عزّ وجل: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾[٢]. وذلك:

أ - أن الماء الجاري ألطف من الراكد، ومن ذلك ما ورد في النصوص المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: أنّ النظر إلى الماء الجاري يزيد في نور البصر.

عن أبي الحسن الأول عليه السلام: «**ثلاث يجلينّ البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن**»[٣].

وعن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**أربع يضئن الوجه: النظر إلى الوجه الحسن، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الخضرة، والكحل عند النوم**»[٤].

وفي وصية بعض الحكماء لولده يقول: «واعلم أنّ ستة أشياء ينفين الحزن: استماع العلم، ومحادثة الأصدقاء، والمشي في الخضرة، والجلوس على الماء الجاري، والتأسي بذوي المصائب، وممر الأيام»[٥].

(١) الإختصاص - محمد بن النعمان العكبري -: ٨٩ / ح / ١٦.
(٢) الأنبياء: ٣٠.
(٣) الوسائل - للحر العاملي -: ٢٠ / ٦.
(٤) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٣ / ٩٤.
(٥) معدن الجواهر - لأبي الفتح الكراجكي -: ١ / ٤٢.

ب ـ كأنّ الله تعالى يقول للمؤمن: بما أنّ طاعتك لي كانت جارية ما دمت حيا، وبما أني علمت من نيتك: أنك لو خلدت في الدنيا لأجريت طاعتي في حياتك. فوجب أن تكون أنهار لطفي وكرمي لك جارية إلى الأبد في دار الخلود.

وحتى في الحياة الدنيا فقد ربط القرآن الكريم بين جريان الطاعة لله عزّ وجل وبين الماء الذي يعمر الطبيعة، وهي سنة الله في الحياة، فقال عزّ وجل: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾[1].

ج ـ أنّ جريان الماء في البستان، لحفظ التوازن. الذي هو سبب الخلاص من التنغيص، لأنّ البستان إذا انقطع عنها الماء هلكت، كما أنه لو فاض فيها الماء فغرقت هلكت، فكان الجريان الذي وصف الله به أنهار الجنة (من تحتها) إشارة للأمان من الغرق والهلاك.

د – أسماها الله تعالى بالأنهار لسعتها، ومن هنا سمي النهار نهارا لسعة ضيائه، وسمّي النهّر نهراً لسعته، كما قال عزّ وجل: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ**﴾[2].

٤. الخلود

وكما قرن القرآن الكريم بين الأنهار والجريان، فقد قرن – كذلك – بين الخلود والرضا في هذا المقام، كما روي عن رسول الله ﷺ قوله:

«**الخلود في الجنة خير من الجنة ورضا الله خير من الجنة**»[3].

وبما أن الرضا – يا ولدي – هو أعلى درجات الجنان في عقيدة المؤمن فإن الناس في

---

(١) الجن: ١٦.

(٢) إبراهيم: ٣٢.

(٣) التفسير الكبير – الفخر الرازي: ١٧ / ١٥٤.

حبهم للجنة وتطلعهم إلى السعادة على قسمين:

القسم الأول: هناك من يحب الجنة ويتطلع إليها من منطلق الجسد، ويتوق إليها لما فيها من لذائذ حسية، كالحور والفاكهة بأنواعها وطعومها، فعلى قدر هذا التطلع يعطيهم الله عزّ وجل ولا يبخل، وكما قال الشاعر:

على قدْر أهل العزم تأتي العزائم وتـأتي على قدر الكرام المكارم

القسم الثاني: هناك من يحب الجنة. ويتطلع إليها ليحظى برضوان الله عزّ وجل، وهو جنة ونعيم الروح، وهو تطلع فئة معينة من الناس، وهم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها.

وكما وصفهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**هجم بهم العلم على حقائق الأمور، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى...**»[1].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ الرب تبارك وتعالى يقول: ادخلوا الجنة برحمتي، وانجوا من النار بعفوي، وتقسموا الجنة بأعمالكم فوعزتي لأنزلنكم دار الخلود ودار الكرامة، فإذا دخلوها صاروا على طول آدم ستين ذراعا، وعلى ملد - أي: الشباب والنضارة - عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد العربية، وعلى صورة يوسف في الحسن، ثم يعلو وجوههم النور، وعلى قلب أيوب في السلامة من الغل**»[2].

وعن أبي هاشم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخلود في الجنة والنار، فقال: «**إنما خلد أهل النار في النار لأنّ نياتهم كانت في الدنيا لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبدا، وإنما**

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ١٧ / ١٦١.

(٢) الإختصاص - للشيخ المفيد -: ١ / ١.

خلد أهل الجنة في الجنة لأنّ نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا أن يطيعوا الله أبدا ما بقوا، فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء» ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ قال: «على نيته»[1].

هؤلاء هم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. رضي الله عنهم أعمالهم وطاعتهم فمدحهم وعظمهم، ورضوا عنه بما جازاهم من النعيم في دار الخلود.

وأما ما عدا ذلك. فإن الله عزّ وجل، قد يدخل من يشاء من عباده الجنة ليملأ تطلعهم إلى جنة الجسد، بالرغم من قصور أعمالهم وقلتها، تحننا منه ورحمة. لطمعهم في جنته ولخوفهم من عذابه.

*****

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٨ / ٣٤٧.

المحور الثاني

الشيعة هم مركز الثقل في الآية

مع سبب النزول

فقد جاء في كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت علياً يقول:

«قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري، فقال: يا علي، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ هم شيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرّا محجلين»[1].

والغرّ المحجلون - يا ولدي - هم البيض الوجوه والأيدي والأقدام، والتحجيل: بياض في قوائم الفرس، ومنه الحديث: **«أمتي الغرّ المحجّلون»** أي: بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام[2].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: تذاكر أصحابنا الجنة عند النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي: **«إن أول أهل الجنة دخولاً علي بن أبي طالب»** قال: فقال أبو دجانة الأنصاري: يا رسول الله، أليس أخبرتنا أن الجنة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى

---

(١) شواهد التنزيل - للحسكاني -: ٢ / ٣٥٦ وفي: بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٣٥ / ٣٤٤.

(٢) لسان العرب - لإبن منظور -: ١١ / ١٤٤.

تدخلها أمتك؟.

قال ﷺ: «**يا أبا دجانة، أما علمت أن لله لواءً من نور، عموده من ياقوت، مكتوب على ذلك اللواء: لا إله إلا الله محمد رسول الله وآل محمد خير البرية، وصاحب اللواء أمام القوم**».

قال: فسرّ بذلك علي عليه السلام وقال: «**الحمد لله الذي أكرمنا وشرفنا بك**»، قال: فقال النبي ﷺ: «**أبشر يا علي، ما من عبد يحبك وينتحل مودتك إلا بعثه الله يوم القيامة معنا... الحديث**»[1].

فلا عجب - يا ولدي - أن يكون لشيعة أهل البيت عليهم السلام هذا الفضل والمقام على لسان رسول الله وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم).

ولا غرابة أن يكونوا هم الخلاصة التي تحمل أمانة السماء، وهم الراعون لعهد الولاء والطاعة لأهل البيت عليهم السلام في أنفسهم، لأنهم خلقوا من فاضل طينة هذه الصفوة

وفي مجموعة من النصوص الشريفة لأهل البيت عليهم السلام يتضوّع عبق هذا الطهر، وتشرق أنوار هذا المقام السامي. مرسلة خيوطها على شيعة أهل البيت عليهم السلام، وبما أننا لا نستطيع أن نتتبع كلّ ما ورد عنهم عليهم السلام بهذا الصدد، فنقتصر على ما تيسر لدينا من هذه النصوص التي تحمل عناوين القوة والشرف والسمو لشخصية الإنسان الشيعي.

*****

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٨ / ٥.

-١-

الشيعة هم سادة الأرض

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: **قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: « يا قنبر، بشر وابشرْ واستبشر، فو الله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه ساخط على جميع أمته إلا الشيعة، ألا وأنّ لكلّ شيء شرَفاً وشرَف الدين الشيعة، ألا وأنّ لكلّ شيء سيداً وسيّد المجالس مجالس الشيعة، ألا وانّ لكلّ شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكن فيها الشيعة»**[1].

إنّ السيادة - يا ولدي - هي من صفات القوة في شخصية المؤمن. ولسنا مبالغين إذا قلنا: إن أيّ مؤمن من المؤمنين هو سيد الأرض، وإنه موضع رضا الله ورسوله، فيتشرف به كل مكان يحل فيه، فيكون موضع قدمه ومسكنه قدوة الأرض، كناية عن كونه القدوة الذي ينبغي أن يقتفى أثره.

وهذا ما يعني السيّادة، لأنّ للسّيادة مفهوماً شاملا، يعني الأولوية في الشرف والطهر، والسّمو في كل سوامق العِز التي يمتلكها الإنسان المؤمن.

ومن الواضح. أن أهل البيت عليهم السلام هم السادة الذين لهم الولاية على الوجود، لأنهم أنوار هذا الوجود ومدده الذي يمدّه بالحياة والبركة، ولأنهم المصطفون قبل أن

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧ / ٢٠٣.

يخلق هذا الكون والحياة. فكانوا رشحة من لطف الله وشعلة من نوره على هذه الخليقة.

وقد ألقوا عليهم السلام خلعة السيّادة والعز على شيعتهم ومحبيهم وفق مقاييس وأسس يرونها، إذ ليس من السّهل أن يكون الإنسان سيداً على الغير ما لم يكن حائزاً على مقومات السيادة ومرجّحات القدم.

فمن آمن بالله ورسوله، وعمل صالحاً، واغتذى عبق الطهر والهدى من منهج محمد وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم) وأخذ من حكمهم وعلمهم عتاده، ومن سِفْر حياتهم زاده، فقد ألبسه الله تعالى خلعة الشرف والسيادة.

*****

-٢-

الشيعة هم الصّالحون المصلحون

عن محمد بن الفضل عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**أنتم للجنة والجنة لكم، أسماؤكم الصالحون والمصلحون، وأنتم أهل الرضا عن الله برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير إذا اجتهدوا**»[1].

هذه شهادة من الإمام الصادق عليه السلام للشيعة، فلا شك أن يكون لها محل يستحقها، ومصداق يحقق مضمونها، وهو الشيعي الصالح.

إنّ صلاح الشيء - يا ولدي - هو رمز قوته. والصالح هو المستخلص من كل شائبة أو عيب مشين، وليس سهلا أن تصلح الأشياء كلها، أو ينقى ما تنقّى منها من كل شائبة.

فالماء والغذاء اللذين طالما يحرص الإنسان على صلاحهما ونقائهما، ويبذل جهداً كبيراً لاستخلاصهما من الكدورة العالقة والشوائب المارقة، لا يصلحان كلياً وبالقطع.

فكذلك البشرية المترامية الأطراف من أقصى الأرض إلى أقصاها، فإنها على

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٥ / ١٤٤.

ذوات شتى وأشكال وطباع عدّة، واتجاهات وعادات وعقائد ومفاهيم لا تحصى، أما خلاصتها فهم أهل الصلاح والإستقامة في الفكر والسلوك، وبما أن صلاح أيّ شيء لا يتم إلا بأمرين:

الأول: في صلاح منشئه ومصدره ومكوّناته التي تكوّن منها ذلك الشيء.

الثاني: في صلاح العنصر أو العامل الذي دخل في إعداده وتطويره. فكذلك أيّ فرد من البشر، فإنه لا يصلح إلا بهذين الأمرين، سواء في عنصر تكوينه ومصدر نشوئه، أو في عنصر تربيته وإعداده وارتقائه.

فهلمّ إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام لننظر إلى فئتين من النصوص الواردة بصدد الإشارة إلى صلاحهم:

الفئة الأولى: ما نصّ على منشأ خلقهم وعنصر تكوينهم، ليكونوا أسرع استجابة للحق. كما عن معاوية بن عمّار، قال: سألت أبا عبد الله الصّادق عليه السلام عن تفسير قوله: «**إنّ المؤمن ينظر بنور الله**»؟.

فقال عليه السلام: «**يا معاوية، إنّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا في الولاية على معرفته يوم عرفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه، أبوه النور وأمّه الرّحمة، إنما ينظرُ بذلك النور الذي خلق منه**»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام - يخاطب بعض شيعته -: «**إنّ الله عزّ وجل إذا أراد بعبد خيراً، نكت في قلبه نكتة بيضاء فجال القلب بطلب الحق، ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره**»[2].

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٤ / ٧٤.

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري -: ٢ / ١٥٤.

وعنه عليه السلام قال: «**إنّ الله عزّ وجل خلق المؤمن من طينة الجنة، وخلق الكافر من طينة النار**» وقال: «**إذا أراد الله بعبد خيرا طيّب روحه وجسده، فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه، ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره**»(١).

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «**إنّ الله خلقنا من نور عظمته، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيها، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطين، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقوا منه نصيباً إلا الأنبياء**.....الحديث»(٢).

الفئة الثانية: ما نص على عنصر إعدادهم وتربيتهم. وحثهم على التسامي والإرتقاء إلى مصاف تلك الصفوة الطاهرة، لأنّ الفئة الأولى من النصوص كانت تشير إلى ما منحهم الله عزوجل من نور التلاحم الرّوحي بمصدر النور والهدى وهم أهل البيت عليهم السلام.

أما هنا: فهو ما يؤكد على أنهم بهذا الإستعداد. قد اهتدوا إلى محبتهم وطاعتهم. واتخذوهم قدوات في حياتهم. فاتبعوا آثارهم. وانتهجوا خطهم في العقيدة والعمل. وفي العبادة والتخشع وترويض النفس وحملها على الطاعات كمصدر إلهام. ومنهج تربية وإعداد .

عن أبي بصير قال: قال الصّادق عليه السلام: «**شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد، أصحاب الإحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون**

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٤ / ٨٢.

(٢) الكافي - للكليني -: ١ / ٣٨٩.

بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم ويحجّون البيت ويجتنبون كلّ محرّم»[١].

وعن أبي زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكنّ من شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك هم شيعتنا**»[٢]

فيصدق عليهم كونهم الصالحين في ذواتهم. والمصلحين لغيرهم بأعمالهم وأخلاقهم. وخصالهم التي استلهموها من قدواتهم المعصومين عليهم السلام.

*****

(١) الوسائل – للحر العاملي –: ٤ / ٥٧.

(٢) الوسائل – للحر العاملي –: ١٥ / ٢٤٧.

-٣-

الشيعة هم أهل الإخلاص

أتعلم ما هو الإخلاص - يا ولدي - وما منزلته وقيمته في عمل المؤمن الشيعي؟ الإخلاص هو: أنْ يتجه الإنسان المؤمن بقلبه ومحتواه وأحاسيسه نحو الله عزّ وجل، إبتغاءً لمرضاته وجلال وجهه تعالى، وهو من صفات وعناصر القوّة التي تشد على قلب المؤمن، وتحرّك أعماقه نحو الله عزّ وجل في كل مجال من مجالات الحياة.

قال رسول الله ﷺ عن جبرئيل، عن الله عزّ وجل: «**الإخلاص سر من أسراري أستودعه قلب من أحببت من عبادي**»(١).

وقال ﷺ: «**قال الله عزّ وجل: لا أطلع على قلب عبد فأعلم منه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي، إلا توليت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوب إسمه في الخاسرين**»(٢).

وقال ﷺ: «**إنّ لكلّ حق حقيقة، وما بلغ عبد حق حقيقة الإخلاص، حتى لا يحبّ**

---

(١) منية المريد - للشهيد الثاني -: ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٨٥ / ١٣٦.

أن يحمدَ على شيء من عمل الله»[١].

وقد جاء الإخلاص وجهاً للأوامر الإلهيّة المتوجّهة إلى الإنسان. وذلك من خلال الصّيغ التي خاطب الله عزّ وجل بها عباده.

قال عزّ وجل: **﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**[٢].

وقال تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وفعله وقوله»**[٤].

وعنه عليه السلام: **«الإخلاص عبادة المقربين»**[٥].

وعنه عليه السلام: **«الإخلاص ملاك العبادة»**[٦].

وفي مصباح الشريعة: «لابد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون. إذ لو لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا. والغافلون قد وصفهم الله بقوله: **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾**»[٧].

(١) مشكاة الأنوار لأبي الفضل الطبرسي: ١ / ٧.
(٢) الأعراف: ٢٨.
(٣) البينة: ٥.
(٤) تحف العقول – للحراني –: ١٠٠.
(٥) غرر الحكم – للآمدي –: ح / ٧٢٧.
(٦) غرر الحكم – للآمدي –: ح / ٨٥٩.
(٧) مصباح الشريعة – المنسوب للإمام الصادق عليه السلام : ٣٩.

فنستوحي - يا ولدي - من خلال هذا النص الشريف ومن غيره من النصوص عدة أمور:

١- إنّ الإخلاص هو فعل من أفعال القلب. وتوجّه من توجّهات المحتوى الداخلي للإنسان المؤمن نحو الله عزّوجل. بغض النظر عن كثرة العمل وحجمه وعن حركة الجوارح وسكناتها.

٢- إنّ إخلاص النيّة لله عزوجل. يكسب العمل قوّة الدّفع نحو الله تعالى. بعيدا عن السّأم والملل والتثاقل. كما قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**ما ضعف بدنٌ عمّا قويتْ عليه النيّة**»[١]. ومن هنا يرتب الله عزّ وجل الأثر النافع للعبد ويجزل له العطاء.

فعن زيد الشحام. قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعتك تقول: نية المؤمن خير من عمله. فكيف تكون النيّة خيرا من العمل؟. قال عليه السلام: «**لأنّ العمل ربّما كان رياء للمخلوقين والنيّة خالصة لربّ العالمين، فيعطي عزوجل على النيّة ما لا يعطي على العمل**»[٢].

وقال عليه السلام: « **إنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلي الليل، فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله له صلاته، ويكتب نفسه تسبيحا، ويجعل نومه له صدقة**»[٣]

٣- يكتسب العمل شرعيته أو عدم شرعيته. من خلال صلاح النية أوعدمه. فقد يكون العمل طيّب المحتوى سيّء الظاهر. كما لو سدّد الإنسان سلاحه بنية قتل كافر فوقع في مؤمن. فلا يترتب على ذلك إثم إلا الأثر الوضعي وهو دفع الدية.

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٧ / ٢٠٥.

(٢) علل الشرائع - للشيخ الصدوق -: ٥٢٤ / ١.

(٣) علل الشرائع - للشيخ الصدوق -: ٥٢٤ / ١.

وقد يكون العمل سيّء المحتوى مشروعا في الظاهر. كما لو سدّد الإنسان سلاحه بنية قتل مؤمن فوقع في كافر فقتله فتترتب العقوبة على سوء النية. ولا دية في قتل الكافر. لذا جاء عن رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات ولكلّ امريء ما نوى**»(١).

٤- إنّ الإخلاص - يا ولدي - هو هالة من هالات الوعي في فكر المؤمن وحركته. إذ يمكن للمؤمن أنْ ينطلق بإخلاص النيّة من خلال تصوّرين مجتمعين أو منفردين. يمثلان عنصر الوعي في نشاطاته وطاعاته. هما:

الأول: إنّ الله عزّ وجل. تفضل على عبده بألوان النعم والعطاء تحننا عليه ورحمة به وحبّا له. ورغم كثرة نعم الله وجسامتها. فهو عزوجل لم يبذل كلّ ما بمقدوره للإنعام على عبده. إذ أنّ قدرته تعالى أوسع وأكبر من خلق السّموات والأرض وما فيهن وما بينهن.

لذلك لا يريد عزوجل من العبد. أنْ يبذل كلّ ما بمقدوره في العبادة والطاعة. ولم يطلب إليه السّعي بكثرة العمل. بل طلب منه توجّه القلب وإخلاص النية.

قال رسول الله ﷺ: «**أخلص قلبك يكفيك القليل من العمل**»(٢).

وفيما ناجى به الله عزّ وجل موسى عليه السلام: «**يا موسى ما أريد به وجهي فكثير قليله، وما أريد به غيري فقليل كثيره**»(٣).

الثاني: بما أنّ العالم الكوني بما فيه. هو مملكة الله عزّ وجل. فالبدن بما فيه من جوارح وطاقات هو مملكة العقل. وبما أنّ الله عزّ وجل سخر كل ما في العالم الكوني من أجل

---

(١) كنز العمال - للمتقي الهندي -: ٧٢٧٢.
(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٣ / ١٧٥.
(٣) الكافي - للكليني -: ٨ / ٤٦.

العبد. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[١] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

فما على العقل إلا أن يسخّر هذا البدن، ويوجّه ما فيه من الطاقة والقوى من أجل الله عزّ وجل، وأن لا يبتغي بطاعته سواه.

*****

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) الجاثية: ١٣.

-٤-

الشيعة هم أحباب الله

جاء في حديث طويل يخاطب فيه رسول الله ﷺ الإمام علياً عليه السلام منه: «**يا علي، بشر شيعتك وأنصارك بخصال عشر: أولها: طيب المولد، وثانيها: حسن إيمانهم بالله، وثالثها: حب الله عزّ وجل لهم**.....الحديث»[1].

إنّ حبّ الله للمؤمن - يا ولدي - هو سرّ القوة التي بها يتحرّك في معترك الحياة. وبها يستمدّ رعاية المعبود الحبيب جلّ في علاه. وما كان المؤمن ليستحق هذا المقام - وهو: محبة الله عزّ وجل له - إلا بعد أن كان حب الله عزّ وجل يملأ أعماق قلبه. فأصبح من المظاهر التي تطرّز حياته. وتملأ مسيرته.

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ..** ﴾[2].

وجاء في صحيفة إدريس عليه السلام: «**طوبى لقوم عبدوني حبّا، واتخذوني إلهاً وربّاً، سهروا الليل ودأبوا النهار طلباً لوجهي، من غير رهبة ولا رغبة، ولا لنار ولا جنة، بل للمحبّة**

---

(١) مشكاة الأنوار - لأبي الفضل الطبرسي -: ١ / ٥٩.

(٢) البقرة: ١٦٥.

الصحيحة، والإرادة الصّريحة، والإنقطاع عن الكلّ إليّ»[1].

ولحب الله في قلب عبده المؤمن - يا ولدي - منطلقات وركائز. هي التي تعطيه قيمة أخلاقية وعرفانية. لأنّ تلك المنطلقات التي سنبينها. ترتفع بهذا الحب من مجرّد التذاذ القوى الغرائزية المألوفة. كما تتمتع العين الباصرة بالمشاهدات. والحاسة الشامة بالمشمومات. والذائقة بالمذوقات. والسّامعة بالمسموعات. حيث يشترك بهذا الإلتذاذ الغرائزي الإنسان والحيوان معاً.

ولكن يتميّز الإنسان المؤمن بالتسامي بالحبّ لله عزوجل بالوعي لينطلق بحبه من خلال هذه المنطلقات المتدرجة. التي ذكرها أهلُ العرفان. وألخصها لك في ما يلي:

١- المنطلق الفطري. الذي يعني أنّ الإنسان يحبّ وجوده. وبما أنّ الله عزّ وجل هو واهب الوجود. فيرجع هذا الحب إلى حبّ الواهب تعالى بدافع كونه محسنا للإنسان بالوجود. فيكون حبه لله تعالى من منطلق حبه لوجوده.

٢- هناك منطلق آخر بدرجة أعلى. وهي حبّ الله عزّ وجل لا باعتباره واهبا للوجود فحسب. بل باعتباره وجودا مستقلاً مطلقاً يتوقف عليه وجود الخلق كله. لذا فإنّ وجودنا متعلق بوجوده الإستقلالي الذي هو العلة لبقائنا.

ولعل هذا معنى قول رسول الله ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**» أي: أن الإنسان لا يعرف الوجود الإستقلالي لله عزّ وجل. إلا بعد معرفة وجوده التعلقي.

وبتعبير أوضح. هو: أنْ يعي حاجته إلى الله عزّ وجل في كلّ ذرة من ذرات وجوده. بصفته مخلوقا يتوقف وجوده على خالقه تعالى في المبدأ والمعاد. وفي الحدوث والإستمرار.

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩٥ / ٤٦٧.

٣- هناك وجوه البر والإحسان الرّباني، التي يكتشفها العبد في هذا الوجود. وبما أنّ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فإنّ منشأ هذا الحب ومنطلقه هو إدراك الضمير الإنساني لإستحقاق المحسن المجمل المفضل المنعم عزّ وجل لهذا الحب. وإنّ هذا الحب، يشتد ويتعمّق كلما عرف الإنسان قدر نعم الله تعالى عليه. قال عزّ وجل:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١].

ومن الشواهد التي تؤكد على هذا المنطلق، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أحببني وحبّبني إلى خلقي، قال: إلهي إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ منك، فكيف لي ربّي بقلوب العباد؟ فأوحى الله تعالى إليه: «ذكّرهم نعمتي وآلائي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيرا»**»[٢].

٤- هناك منطلق أكمل، وهو أن يستجمع العبد صفات الجمال والكمال المطلق لله عزّ وجل. وما جمال الخلق إلا رشحة من جماله تعالى. وهذا المنطلق هو منطلق العرفاء الكمّل، الذين يسألون الله بجماله وكماله.

كما جاء في دعاء السحر: «**اَللّٰهُمَّ اِنّي اَسْاَلُكَ مِنْ جَمالِكَ بِاَجْمَلِهِ وَكُلُّ جَمالِكَ جَميلٌ، اَللّٰهُمَّ اِنّي اَسْاَلُكَ بِجَمالِكَ كُلِّهِ**» إلى آخر دعاء البهاء الذي يستجمع صفات الجمال والكمال، التي تعتبر في منطق العرفاء سببا لحبّه عزّ وجل، ووسيلة لعرض المطالب عليه.

---

(١) إبراهيم: ٣٢-٣٤.

(٢) قصص الأنبياء - للسيّد نعمة الله الجزائري - ص: ١٦١.

٥- هناك المنطلق الأعلى للحب، وهو الأنس والارتياح إلى صحبة الصاحب، كما يأنس الصديق بصديقه، ويطمئن إلى صاحب طريقه، ويرتاح إلى حديثه، وهذا هو حب من زالت الأغيار عن قلوبهم فاطمأنوا إلى مصاحبة الله عزّ وجل في كل شأن من شؤون حياتهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**حب الله إذا أضاء على سر عبد أخلاه عن كل شاغل، وكل ذكر سوى الله عنده ظلمة، والمحب أخلص الناس سرا لله، وأصدقهم قولا، وأوفاهم عهدا، وأزكاهم عملا، وأصفاهم ذكرا، وأعبدهم نفسا، تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه**»[1].

وجاء في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «**وَأَنْتَ الَّذى اَزَلْتَ الأَغْيارَ عَنْ قُلُوبِ اَحِبّائِكَ حَتّى لَمْ يُحِبُّوا سِواكَ**،- إلى قوله -:**ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ؟وَمَا الَّذى فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟ لَقَدْ خابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً**»[2].

وجاء في مناجاة الإمام السجاد عليه السلام: «**أَللّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَأْبُهُمُ الارْتِياحُ إلَيْكَ وَالْحَنِينُ**» وممّا يلازم هذا المنطلق أثران:

الأول: مع هذا المنطلق، سوف ينسى العبد المؤمن المحب، كل آلامه، وآماله، ومتاعبه، ومباهجه، حيث تستوي في نفسه كل الأفراح والأتراح والمباهج والمتاعب الدنيوية، لأن همّه الأنس والارتياح والحنين إلى ربّه.

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٧ / ٢٣.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩٨/ ٢٢٦.

كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: « **القلب المحب لله يحب كثيرا النصب لله، والقلب اللاهي عن الله يحب الراحة، فلا تظن - يا بن آدم - انك تدرك رفعة البر بغير مشقة، فان الحق ثقيل مر**»(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من خرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة، آنسه الله عزّ وجل بغير أنيس وأعانه بغير مال**»(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من مؤمن إلا وقد جعل الله له من إيمانه أنسا يسكن إليه حتى لو كان على قلة جبل لم يستوحش**»(٣) وكما جاء في الشعر العرفاني:

الأنس بالله لا يحويه مختالُ ... وليس يدركه بالحول محتالُ

والآنسون رجالٌ كلهم نجبٌ ... وكلهم صفوة لله حمّالُ

الثاني: مداومة ذكر الله عزّ وجل على لسان عبده المؤمن، بعيدا عن اللغو واللهو وفضول الكلام، إذ تنحصر كل مطامحه ولذاته بهذا الذكر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علامة حب الله تعالى حب ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عزّ وجل**»(٤).

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الذكر مجالسة المحبوب**»(٥).

وفي دعاء الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اللهم إنك آنس الآنسين لأوليائك، -**

---

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري -: ٢٠ / ١٨.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٥ / ٣٥٩.

(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٠ / ١١١.

(٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري -: ٢٠ / ١٨.

(٥) غرر الحكم - للآمدي -: ٣٢٢.

إلى قوله - إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صبت عليهم المصائب لجؤوا إلى الاستجارة بك»[١].

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّة بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ راحَة بِغَيْرِ أُنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُور بِغَيْرِ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغْل بِغَيْرِ طاعَتِكَ» وفي دعائه عليه السلام أيضا: «إلهِي ما أَلَذَّ خَواطِرَ الاِلْهامِ بِذِكْرِكَ عَلَى الْقُلُوبِ وَما أَحْلَى الْمَسِيرَ إلَيْكَ بِالاَوْهامِ فِي مَسالِكِ الْغُيُوبِ»[٢]

*****

(١) نهج البلاغة - محمد عبدة -: خ / ٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩٤ / ١٥١.

-٥-

الشيعة هم أهل التوبة

إعلم - يا ولدي - أن التوبة تعتبر من أساسيات المؤمن الشيعي، لأنّها الوسيلة التي يرتبط بها المؤمن بربه الغفور ذي الرحمة. وأما روحها التي تحركها باتجاه موضع الرضا والقبول الرّباني، وتعطي صاحبها موقع القوة، فهي: ولاية أهل البيت عليهم السلام.

لذا جاء تفسير الهداية في قوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[1] أي: إلى ولاية ومحبة أهل البيت عليهم السلام.

حيث أخرج ابن البطريق، عن الحافظ أبي نعيم، بسنده عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه، عن علي عليه السلام أنه في هذه الآية: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ قال: «**إلى ولايتنا**»[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - في وصف التائبين -: «**غرسوا أشجار ذنوبهم نصب عيونهم وقلوبهم، وسقوها بمياه الندم، فأثمرت لهم السلامة، وأعقبتهم الرضا**

---

(١) طه: ٨٢.

(٢) أمان الأمة من الإختلاف - لطف الله الصافي -: ١ / ١٣٧.

والكرامة»[١].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام - في مناجاته -: « **واجعلنا من الذين غرسوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها من ماء التوبة حتى أثمرت الندامة،فاطلعتهم على ستور خفيات العلى، وآمنتهم من المخاوف والاحزان والغموم والاشجان ونظروا في مرآة الفكر، فأبصروا جسيم الفطنة، ولبسوا ثوب الخدمة**»[٢].

وتبقى التوبة مظهرا من المظاهر المشرقة على حياة المؤمن. لأنها عملية تحوّل وتسامي من كبوات الفشل والضعف والسّقوط. إلى حالة النجاح. والقوة والرّفعة بالحياة إلى مسارها الذي اختطته السّماء للإنسانية.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولابد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأصفياء من التنفس، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الخاص من الإشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب**»[٣].

فليست التوبة - يا ولدي - كما يتصور البعض: بأنها فقط تحوّل تفرضه حالة الضعف والندم في نفس الإنسان على عمل المعصية. وبالتالي لم يكن الإنسان يهتم في تطوير وتعميق الصلة بالله عزّ وجل.

بل إنّ التوبة في تفكير المؤمن. هي عملية تكامل في العقيدة والسلوك. ومسيرة تصاعدية في سُلّم العلاقة مع الله عزّ وجل. لذا فإنها تشكل عنصرا من عناصر القوة في

---

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري -: ١/ ٣٢٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩ / ٣١ ح/ ٣٨.

حياة الإنسان المؤمن. وموضعا من مواضع محبة الله عزّ وجل وعنايته بالعبد.

ولذلك فإن المخاطب بالدّعوة إلى التوبة هم المؤمنون. حيث قال عزّ وجل:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرّة**»[٢].

وقال ﷺ: «**ليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة**»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**توبوا إلى الله عزّ وجل وادخلوا في محبته، فإنّ الله عزّ وجل يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين والمؤمن تواب**»[٤].

وإنْ كانت التوبة رجوعاً وإنابة بعد انقطاع حبل الصلة والمودة بالله عزّ وجل بسبب المعصية. عند الكثير من الناس. إلا أنها بعد هذا التحوّل تعتبر خطوة على طريق التكامل والتسامي لدى الإنسان الواعي لقيمتها وحدودها.

وقد وردت الكثير من قصص هذا التحوّل في حياة التائبين باتجاه المحبة والولاء لأهل البيت عليهم السلام. مما جعل لكل من هؤلاء شخصية قوية. وموقعا مرموقا في التاريخ.

كقصّة توبة عليّ بن درّاج الأسدي الذي كان عاملا لبني أُمّية وصديقا لعليّ بن أبي حمزة الّذي كان من كتّاب بني أُميّة.....

وقصّة توبة عبد الرحمن الأصفهاني الذي كان حاجبا للمتوكل العباسي. وعندما

---

(١) النور: ٣١.

(٢) الخصال – للشيخ الصدوق –: ١/ ١٠١.

(٣) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٦ / ٣١.

(٤) الخصال – للشيخ الصدوق –: ٦٢٣.

جيء بالإمام علي الهادي عليه السلام بأمر من المتوكل وكان عازما على قتله.....

وقصّة يحيى بن هرثمة الذي كان على مذهب الحشوية. وقد أرسله المتوكل لجلب الإمام علي الهادي عليه السلام من المدينة إلى سامراء. وحدث ما حدث من استخفافه بالكاتب الذي كان متشيعا ومناظرته مع أحد الشراة أثناء الطريق. - وقد ذكرت القصة تفصيلا في كتابنا - عطاء رمضان -

وفي نهاية القصّة... قال - أي: يحيى بن هرثمة -: «فرميت نفسي عن دابتي وعدوت إليه وقبلت ركابه ورجله وقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، وأنكم خلفاء الله في أرضه. وقد كنت كافرا. وإنني الآن قد أسلمت على يديك يا مولاي. قال يحيى: وتشيعت. ولزمت خدمته إلى أن مضى»[1].

وقصّة الحر بن يزيد الرياحي. الذي كانت بداياته بعيدا عن الإمام الحسين عليه السلام قريبا من تنفيذ قرارات بني أمية. فلما رأى ما عليه الأمويّون من قتال الإمام الحسين عليه السلام أو النزول عند حكم الطاغية يزيد بن معاوية وقف متأملا بينه وبين نفسه. مخيرا نفسه بين البقاء على ما هو عليه وبين الرجوع عن قراره الأول. تقول القصة:

فقال له رجل من قومه يقال له: المهاجر بن أوس: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء.

فقال له: يا بن يزيد! والله إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلا؟ ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟!.

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٥٠ / ١٤٤.

قال: « إني – والله – أخيّرُ نفسي بين الجنة والنار، فو الله لا أختارُ على الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت»! ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام.

فقال له: «جعلني الله فداك يا بن رسول الله ! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أنّ القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا، ولا يبلغون منك هذه المنزلة».

فقلت في نفسي: لا ابالي أن اطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أني خرجت من طاعتهم، وأمّا هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم. ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، واني قد جئتك تائبا مما كان مني إلى ربي ومواسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟!.

قال الإمام عليه السلام: «**نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك**»؟ قال: أنا الحر بن يزيد. قال: «**أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة، إنزل**».

قال: أنا لك فارساً خير مني لك راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة . وإلى النزول ما يصير آخرُ أمري! قال الحسين عليه السلام: «**فاصنع يرحمك الله ما بدا لك**»[1]. وممّا تفيضه هذه القصة وغيرها من قصص التوبة من دروس:

١- أنّ هذه القصة. تثبت بالدّرجة الأولى لكلّ طغاة الأرض. ولكلّ من تبعهم من المضلين. الذين يحاولون حرف الناس عن خط الفطرة التي فطر الله الناس عليها. أنّ إرادة الخير في هذه الفطرة الإنسانية أقوى من إغرائهم. وهي لن تموت ما لم تمسخ إنسانية الإنسان تماما.

---

(١) كلمات الإمام الحسين – للشيخ الشريفي –: ١ / ٤٣٦.

٢- تثبت أنّ التوبة تحتاج إلى السبب الذاتي. الذي هو عبارة عن الإستعداد للتوبة والإنابة إلى الله عزّ وجل. الذي يحمله الإنسان داخل نفسه. ما لم تتلبد هذه النفس بظلمة المعاصي. فتحتجب عن المؤثرات الإيجابية.

٣- أن التوبة تحتاج في أكثر الأحيان. الى محرّك من خارج الذات. يتمثل في كلمة طيبة. أو عمل أو مشهد يحفز الإستعداد الذاتي الكامن في الفطرة نحو الرجوع والإنابة الى الله عزّ وجل.

وعليه فإنّ هذا الرّجوع إلى الله عزّ وجل. لا شك يحمل معه حرارة الشوق والحبّ له تعالى. وفي مقابل ذلك يجد المنيب التائب ربّه عزوجل قد مهّد له بساط العفو والرّحمة.

فإذا كان عفو الله عزّ وجل ورحمته لأهل الإنحراف والفسق عهدا معهودا إذا أنابوا. فكيف سيكون حجم رحمته لأحبائه المؤمنين الذين يتواصلون معه بالإستغفار والتوبة. من منطلق شعورهم بالحاجة إلى التكامل في علاقتهم معه عزّ وجل؟.

*****

-٦-

الشيعة هم أهل الدعاء إلى الله

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**تبع قومٌ أمير المؤمنين عليه السلام فالتفت اليهم فقال: «من أنتم»؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين، قال: «مالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة؟» فقالوا: وما سيماء الشيعة؟ قال: «صفر الوجوه من السهر، خمص البطون من الصيام، ذيل الشفاه من الدعاء، عليهم غيرة الخاشعين»**»[1].

من المظاهر المشرقة ومن عناصر القوة في حياة المؤمن - يا ولدي - هو عنصر الدعاء. الذي يدخل في كل طاعة من طاعات العبد فيعطيها روحا وحيوية. فقد قال الله عزّ وجل: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض**»[3].

---

(١) مشكاة الأنوار - لأبي الفضل الطبرسي -: ١ / ٤٢.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) الكافي - للكليني -: ٢ / ٤٦٨.

وقال ﷺ: «**الدعاء مخ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد**»[١].

فالدعاء - يا ولدي - هو إشراقة قلب العبد المؤمن. التي تنطلق على لسانه كلمات من نور. تعبر عن ثنائه وإجلاله وثقته بمعبوده الحبيب عزّ وجل من ناحية. ومن ناحية أخرى: تعبر عن خضوعه وتواضعه لهذا المقام. لذا فإن الدعاء ينطلق من خلال منطلقين:

المنطلق الأول:

هو شعور العبد بأنه محتاج الى الله عزّ وجل في كل أحواله وشؤونه. في ضعفه وفي قوّته. في مرضه وفي صحّته. في فقره وفي غناه. في شدّته وفي رخائه.

ومن هذا المنطلق تستوي حالة الإنسان المؤمن أمام ربه عزّ وجل. فيصبح الدعاء لديه منهجا تربويا شاملا. يغتذي من خلاله مفاهيمه. ويستلهم منه قيمه وأخلاقه مع الناس.

خصوصا إذا استند في دعائه الى ما رسمه أئمة أهل البيت عليهم السلام له من كيفية التكلم مع الله عزّ وجل. وما اختاروه من الكلمات والعبارات والنصوص التي تزخر بالمضامين والمعاني العالية. التي ترمي الى إعداد شخصية الإنسان المؤمن إعدادا روحيّا وأخلاقيا. تنعكس آثاره على صعيد العلاقات والرّوابط الإجتماعية.

أما التصور القائل: أنّ غاية الدّعاء هي: دفع الشدائد والمصائب وأمواج البلاء التي تتوجّه على الإنسان فقط. وعليه. فإن كان البلاء مقدّرا على الإنسان وكان لا بدّ من وقوعه. فلا ينفعه الدّعاء. وإن لم يكن البلاء مقدّرا فلا يقع. فهنا لا معنى للدّعاء لإنتفاء موضوعه.

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩٣ / ٣٠٠.

فالجواب عن هذا التصور، من خلال دراسة هذا المنطلق الذي على أساسه لا يعدّ الدّعاء تضييعا للوقت كما قد يدّعى، وذلك:

أوّلاً - أن الله عزّ وجل بيده حركة كل هذا الوجود، وما من شيء إلا ويسير ضمن حكمته وتقديره وطوع إرادته، وقد قال عزّ وجل: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[1].

فالقدر المقدر على الإنسان سواء كان على مستوى النعمة أو النقمة، يمكن تغييره بإرادة الله عزّ وجل، فيكون الدعاء طلبا الى الله تعالى لتغيير ما قدّر باتجاه النعمة على عبده بدفع أمواج البلاء.

ولذلك جاء عن رسول الله ﷺ: «**إدفعوا أمواج البلاء بالدعاء، ما المبتلى الذي استدر به البلاء بأحوج من المعافى الذي لا يأمن البلاء**»[2].

فإن المفهوم من هذا النص: أن البلاء منه معلوم ومنه غير معلوم، فالبلاء المعلوم يحتاج الى إلفات نظر وحذر، ودور الدعاء في هذا المجال هو استجلاب توفيق الله عزّ وجل للإحتراس والتحصن من غير المعلوم.

وأما غير المعلوم فيحتاج الى دفع الله عزّ وجل، ودور الدعاء في هذا المجال هو استجلاب العبد المؤمن لرعاية الله ودفعه لما لا يأمنه من البلاء.

ثانياً - أن الدعاء يعكس هذا الشعور والإحساس بالحاجة الى الله عزّ وجل، لكونه الأقوى والأكمل على الإطلاق، فيكون الدّعاء وسيلة لإستدرار رشحات الكمال الرّباني، ومنهجا للتسامي نحو الله تعالى في كل المجالات الحياتية.

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩٣ / ٣٠١.

ولهذا كان الدّعاء منهجا لسيرة الأنبياء والصّلحاء والأئمّة الأطهار عليهم السلام في كل أحوال الشدة والرّخاء على حد سواء. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أدع الله ولا تقل: إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة**»[1].

المنطلق الثاني:

بقدر حاجة العبد لربه عزّ وجل، فإن الله تعالى قد نصب نفسه منصب الرعاية والعطاء الدائم الذي لا ينفك عن عبده المؤمن، في العفو عن ذنبه وفي رعايته له في كلّ الأحوال والظروف. وهو ما يدفع الإنسان المؤمن للسؤال طمعا في العطاء الذي لا ينفد. وأنسا بمناجاة المحبوب الذي لا يعتريه السأم والملال. ولا يعجزه كثرة السؤال عن تحقيق المطالب والآمال. كما جاء في دعاء الإفتتاح:

«**اَللّهُمَّ اِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبي، وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطيئَتي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمي وَسِتْرَكَ عَنْ قَبيحِ عَمَلي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثيرِ جُرْمي، عِنْدَ ما كانَ مِنْ خَطَئي وَعَمْدي، اَطْمَعَني في اَنْ اَسْأَلَكَ ما لا اَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، الَّذي رَزَقْتَني مِنْ رَحْمَتِكَ، وَاَرَيْتَني مَنْ قُدْرَتِكَ، وَعَرَّفْتَني مِنْ اِجابَتِكَ، فَصِرْتُ اَدْعُوكَ آمِناً، وَاَسْاَلُكَ مُسْتَأنِساً، لا خائِفاً وَلا وَجِلاً، مُدِلاً عَلَيْكَ فيما قَصَدْتُ فيهِ اِلَيْكَ...**».

ولكن بتأخير الإجابة، قد يحدث في نفس الإنسان المؤمن سؤال: ما علة تأخير الإجابة؟ لأن المؤمن الداعي الذي تدفعه حاجته للدعاء، وهو يأمل أن يسعفه عزّ وجل بسرعة العطاء. فلماذا لم يعجل الله تعالى له ما وعده من الإجابة؟ فيكون الجواب:

أوّلاً: على ضوء ما قدمنا، ينبغي أن لا يتصوّر الإنسان المؤمن أنّ المصلحة تنحصر في توفير كل مطلوب من الأمور المحسوسة التي ترضاها نفسه، بل لا بد من إيكال الأمر

---

(١) الكافي – للكليني –: ٢ / ٤٦٦.

إلى الله العليم الحكيم بأفعاله. أما العبد فهو لا يعلم بما يصلحه وما لا يصلحه.

فلو قال كريم من الكرماء: إني لأعطي كل من سألني حاجته. فجاءه شخص فسأله شرابا أو طعاما. يعرف الكريم أن فيه سما قاتلا ولكن السائل لا يعلم. فهل من المستحسن بالكريم أن يعطيه ما طلب؟ كلا. والى ذلك أشار الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «**وَيَا مَنْ لاَ تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَائِلُ**» .فالأمور المطلوبة على ثلاثة أنحاء:

١- هناك أمور تصلح للعطاء من دون سؤال. وهو كل ما يرتبط بالقوانين الطبيعية كالماء والهواء والليل والنهار..

٢- وهناك مالا تصلح للعطاء حتى مع الدعاء فالحكمة تقتضي المنع مطلقا..

٣- وهناك ما يصلح للعطاء بشرط السؤال والدعاء. ولولا الدعاء لا مصلحة في إعطائها. وهذه الأمور لا يستطيع الإنسان تمييزها بعقله وتفكيره القاصر. فلابد من الدعاء في هذا المورد. وتعليق الأمر على حكمة المسؤول عزّ وجل. ولا ييأس الإنسان المؤمن إذا لم يستجب له.

ثانياً: إن لكل فعل من الأفعال العقلائية مقتضيات وشروطا وموانع. فما لم يتوفر المقتضي والشرط ويرتفع المانع. لا تترتب الثمرة على الفعل. هذا في أفعال العباد أنفسهم فكيف بأفعال الله تعالى التي تصب دائما في قناة الحكمة والتدبير المنتج للمصلحة على العباد؟.

فعلى العبد المؤمن أن يعلم: كما أن للدعاء مقتضيا وهو حاجة العبد. فإن لفعل الله تعالى وإجابته مقتضيا. وهو مصلحة العبد في الإجابة. وكذلك فإن للإجابة شرطا ذاتيا وهو: صفاء نية الداعي لربه عزّ وجل ومعرفته بقدر ومقام المسؤول.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله عزّ وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيق الإجابة**»(١).

وأنّ هناك شروطا موضوعية. كالدعاء وقت الأذان. وحال نزول المطر. وعند الجماعة. وفي باحات المساجد والمشاهد المشرفة. وغير ذلك مما له صلة باستجابة الدعاء. وفي مقدمته العمل بطاعة الله عزّ وجل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر**»(٢).

فالوتر فيه قوة الدفع للسهم الذي يسدده الرامي باتجاه الهدف. فإذا فقد السهم قوة الدفع فلا يصل الى هدفه. فكذلك العمل الصالح فإنه يعتبر عامل الدفع لتلك الكلمات التي يعبر بها الإنسان عن مطالبه وحاجاته لله عزّ وجل. كما قال تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ...**﴾(٣).

ثالثاً: إن الله عزّ وجل. قد يستجيب الدعاء كما وعد فيرى في تأخير العطاء مصلحة للعبد. إما لكونه لا يعود للعبد بنفع في هذا الوقت. وإما لكون الله عزّ وجل يريد من العبد أن يكثر في الدعاء والطلب كي يزداد قربا من الله عزّ وجل.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن العبد ليدعو فيقول الله للملكين: قد استجيب له، ولكن احبسوه بحاجته فإني أحب أن أسمع صوته، وإن العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى: عجلوا له حاجته فإني أبغض صوته**»(٤).

*****

(١) الكافي – للشيخ الكليني –: ٢ / ٤٧٣.
(٢) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٩٣ / ٣١٢.
(٣) فاطر: ١٠.
(٤) الكافي – للشيخ الكليني –: ٢ / ٤٨٩.

-٧-

الشيعة هم أهل الأمل والرجاء

من المظاهر المشرقة ومن عناصر القوة في حياة المؤمن، هو: الرجاء، وهو يعني الأمل بما عند الله عزّ وجل، من عطاء، ونعمة، ورحمة، وتسديد. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

والرجاء - يا ولدي - في جانب منه - يمثل النتيجة والمردود الذي يتحراه الإنسان المؤمن من وراء التوبة والدعاء، ولعله من ملازماتهما.

لأن دافع التوبة هو مسح آثار الذنوب، ودافع الدعاء هو حاجة العبد الى بناء النفس وسدّ الثغرات التي خلفها الإبتعاد عن الله عزّ وجل، بينما الرجاء هو الأمل بنيل ما أعد الله عزّ وجل من العطاء.

وفي عقيدتي: لا تكتسب التوبة أثرها في سلوك العبد المؤمن، ولا يكون للدعاء طعم، ما لم يكن هناك رجاء لما عند الله عزّ وجل من مردود إيجابي، هو الذي يحرّك كوامن العبد المؤمن ويحفزها بهذين الاتجاهين.

---

(١) البقرة: ٢١٨.

ولذلك جاء قوله عزّ وجل باتجاه التوبة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١].

وجاء قوله عزّ وجل باتجاه الدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢]. كما جاءت نصوص المعصومين (عليهم السلام) مؤكدة على ذلك.

ففي باب التوبة. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**من أعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطي الإستغفار لم يحرم المغفرة**»[٣]. وجاء في وصايا لقمان لإبنه: «**وارج الله رجاء لو أتيته بذنوب الثقلين لرحمك**»[٤].

وفي باب الدعاء: قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**من لم يرجُ الناس في شيء وردّ أمره الى الله عزّ وجل في جميع أموره، استجاب الله عزوجل له في كل شيء**»[٥].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئا إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا عند الله، فإذا علم الله عزّ وجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه**»[٦]. هذا مضافٌ الى النصوص التي رسمت حدود الرجاء وهي:

أوّلاً: أن يكون الرجاء منحصرا بالله عزّ وجل. فلا يستحسن بالعبد المؤمن رجاء

---

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) البقرة: ١٨٦.
(٣) بحار الأنوار – للمجلسي –: ٦٩ / ٤١.
(٤) ميزان الحكمة – محمد الريشهري–: ٢ / ٤١.
(٥) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٧٥ / ١١٠.
(٦) الكافي – للشيخ الكليني –: ٢ / ١٤٨.

غيره تعالى، لأن كل ما دون الله فانٍ، وعند الله خزائن الرحمة وجلائل النعمة، وحصر الرجاء بالله عزّ وجل دليل الثقة به، والثقة بالله هي روح الإيمان.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إجعلوا كل رجائكم لله سبحانه ولا ترجوا أحدا سواه، فإنه ما رجا أحد غير الله تعالى إلا خاب**»(١).

وعنه عليه السلام: «**لا يرجونّ أحد منكم إلا ربه، ولا يخافنّ إلا ذنبه**»(٢).

ثانياً: أن يكون الرّجاء مقرونا بالعمل، الذي به ينال ما عند الله عزوجل، وإلا فهو رجاء مكذوب استعاذ منه المعصومون عليهم السلام كما جاء في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وأعوذ بك من دعاء محجوب، ورجاء مكذوب، وحياء مسلوب واحتجاج مغلوب ورأي غير مصيب**»(٣).

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إياك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك في الخوف الصادق**»(٤).

وقال عليه السلام فيمن يدّعي أنه راجٍ: «**يدعي بزعمه أنه يرجو، كذب والعظيم، ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله؟ فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله، وكل رجاء - إلا رجاء الله تعالى - فإنه مدخول وكل خوف محقق - إلا خوف الله - فإنه معلول**»(٥).

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فلا يزالون

---

(١) غرر الحكم - للآمدي -: ٢٥١١.
(٢) نهج البلاغة قصار الحكم - محمد عبدة -: الحكمة / ٨٤.
(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٤ / ١٥٦.
(٤) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٨ / ١٦٤.
(٥) نهج البلاغة - محمد عبدة -: خ / ١٦٠.

حتى يأتيهم الموت؟ قال: «**هؤلاء قوم يترجحون في الأماني كذبوا ليسوا براجين، إن من رجا شيئا طلبه**»(١).

ثالثاً: أن يكون الرّجاء فيما يرجى وما لا يرجى. بمعنى أن يتوقع الرّاجي من ربّه عزّ وجل منحه ما لم يكن يتوقع حصوله من المطالب لإمتناعها. فيكون الرّاجي ما عند الله تعالى كطالب الأحجار الثمينة من قعر البحر. فإنه يرمي الى ما يصعب حيازته ممّا هو أثمن. ليعدّ له عدّة أكبر ويدّخر له جهدا أوفر. كما جاء عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله:

«**كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإنّ موسى بن عمران عليه السلام خرج ليقتبس لأهله نارا فكلمه الله عزّ وجل فرجع نبيّاً، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين**»(٢).

فيعتبر الأمل والرجاء - يا ولدي - هو الومضة التي نتحرك بها في الحياة الدنيا لا من أجل الدنيا. وإنما من أجل أداء المسؤولية في الحياة الدنيا. ومن أجل أن نخضع الدنيا للقيم والمفاهيم العالية. التي تتحرك بدورها بحياتنا باتجاه خدمة الدار الآخرة.

فالقرآن عندما يحدثنا عن الرجاء والأمل. فهو يريد منا أن نكون في لحظة الضعف على مشارف القوة. لإيماننا بمصدر القوة ﴿**أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾(٣). وفي لحظة الذل على مشارف العزة. لإيماننا بمصدر العزة ﴿**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعًا**﴾(٤).

(١) الكافي - للشيخ الكليني -: ٢ / ٦٨.
(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١٥٠ ح / ٧.
(٣) البقرة: ١٦٥.
(٤) النساء: ١٣٨.

بمعنى أننا إذا ما ضعفنا وقوي علينا الآخرون. فهناك فرصة بأن نقوى ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(١).

فالآية تعطي الإنسان المؤمن شعورا بالمدد والعناية الربانية. وتمنحه إرادة قوية. تتحدى الإستسلام للواقع.

بشرط أن يكون في خط الإيمان والتقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢)﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(٣).

لأن الإيمان يستبطن في حقيقته الأمل بقدرة الله عزّ وجل على تغيير الأحوال

﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٤).

بينما يستبطن الكفر اليأس من روح الله. وعدم الثقة بقدرة الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

إذن. هذا هو الأمل الذي ينسجم مع المسؤولية الرسالية للإنسان المؤمن. قال رسول الله ﷺ: «**الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس**

---

(١) آل عمران: ١٣٩.

(٢) الأنفال: ٢٩.

(٣) الطلاق: ٢ - ٣.

(٤) آل عمران: ١٤٠.

غارس شجرا»[١]. فكذلك - إذن - لولا الأمل ما أدى مؤمن حقا للرسالة والأمة.

فالأمل هو العنصر الذي من خلاله يستطيع المؤمن أن يحرك الدنيا باتجاه الصنع الإيجابي، والأداء الرسالي الذي يتحرك به نحو الله عزّ وجل، وباتجاه القيم والتكامل الروحي والأخلاقي.

وكل أمل لا يسعى بالمرء بهذا الإتجاه فليس من القرآن، وليس من الرسالة والمسؤولية في شيء، ذلك هو الأمل الداعي إلى الغفلة، وإلى التعلق بالمفاهيم الخيالية وغير الواقعية، الأمل الذي يقعد الإنسان عن التخطيط للغاية التي من أجلها يجب أن يتحمّل المسؤولية **﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**[٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إتقوا باطل الأمل فربّ مستقبل يوم ليس بمستدبره، ومغبوط في أول ليل قامت بواكيه في آخره**»[٣].

وقال عليه السلام: «**إتقوا خداع الآمال، فكم من مؤمل يوم لم يدركه، وباني بناء لم يسكنه، وجامع مال لم يأكله، ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه، أصابه حراما واحتمل به آثاما**»[٤].

فهنا يضعنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمام مسؤولية الأمل من ناحية، وأمام خداعه من ناحية أخرى، لذلك قال: اتقوا باطل الأمل، ولم يقل اتقوا الأمل، لأنّ في الأمل ما هو حق لا بد منه.

---

(١) تفسير الأمثل - للشيخ مكارم الشيرازي -: ٨ / ١٢.
(٢) الحجر: ٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم - للآمدي -: ١ / ٢١٨.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم - للآمدي -: ١: ٢١٨.

وبهذا ينبغي أن نتحرك بالأمل في شؤون حياتنا. وفي حركة رسالتنا. و لكن لا ينبغي أن نغفل عن خداعه وباطله.

إذن. فالنتيجة التي نخرج بها. من خلال ما يطرحه القرآن والقادة المعصومون عليهم السلام هي: أن الإسلام يعطي للأمة خط التوازن بين آمالها وتطلعاتها. بين دنياها وآخرتها. وبين حياتها وموتها. لتعطي الأمة الحياة دورها وحركتها في خط المسؤولية التي أراد الله عزّ وجل منها.

فلا أمل يسقطها في هوة الضياع والمتاهات. ولا يأس يأسرها ويقيدها في دائرة القعود والجمود .

ففي كل الأحداث التأريخية التي انتصر بها الحق على الباطل. كان للحق حَمَلتُه وللباطل حَمَلتُه. وكان حملة الحق يتحرّكون نحو أهدافهم وغاياتهم التي رسمها الله عزّ وجل لهم في خط المسؤولية.

فكان الأمل في حركتهم. يعني ما رسمه الله تعالى لهم من مستقبل يتحدى كل الصعوبات التي تعترض الطريق. وتربك الخطوات. وتجهض الحركة والمسير نحو الله عزّ وجل.

سواء كانت الحركة على مستوى التطبيق الفردي للعبد المؤمن الذي يسعى إلى الله تعالى بأداء إلتزاماته وواجباته. فهو يسعى على أساس ما وعده الله عزّ وجل من الرحمة التي يرجوها ويتحدى بها عقبة اليأس.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ

رَبِّهِ﴾[١] ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

أو كانت الحركة على مستوى مسؤولية الأمة نحو الغاية المشتركة التي يتوقف عليها مصيرها. فإنّ الأمل يتحرك في صميم مسؤوليتها. متحديا كل العقبات والأهوال ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]

فهنا يحدثنا القرآن الكريم بأن هذه الثلة. قد بلغت بحركتها ما ترمي إليه من غاية. وهي رضوان الله عزّ وجل في خط مسؤوليتها. وذلك بإيمانها الذي يستبطن الأمل بما عند الله من نعمة وفضل.

ثم يحدثنا القرآن في السياق نفسه: أنّ الشيطان يترصد لهذا الخط. لينشر الخوف أمامكم. ويزرع اليأس في نفوسكم. ولكنه لا سبيل له إلا على أوليائه. يخوفهم بأسكم: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ﴾ لأنهم بولائهم للشيطان ضعفاء مخذولون يائسون ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

*****

(١) الزمر: ٩.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤.

-٨-

الشيعة هم أهل الخشية من الله

عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ - إلى قوله: ﴿رَاجِعُونَ﴾ قال: «**نزلت في عليّ عليه السلام ثم جرت في المؤمنين، وشيعته هم المؤمنون حقا**»[1]..

من المظاهر المشرقة في حياة المؤمن - يا ولدي - هو الخشية من الله عزوجل، والخوف لمقامه، ووجل القلب هيبة لجلاله وعظيم كبريائه.

قال الله عزّ وجل: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا**

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٢٣ / ٣٥٨.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) الإسراء: ١٠٩.

عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن المؤمن لا يصبح إلا خائفا وإن كان محسنا، ولا يمسي إلا خائفا وإن كان محسنا، لأنه بين أمرين: بين وقت قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات**»[٣].

وقال عليه السلام: «**الخوف جلباب المتقين**»[٤]. وقال عليه السلام: «**عباد الله، إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه**»[٥].

نستوحي من كل هذه النصوص - يا ولدي - أنّ خوف المؤمن وخشيته من ربه عزّ وجل هو من أصائل صفات القوة في شخصيته. إذ أنّ من خاف الله تعالى خافه كل شيء. لأنّ خوفه من الله لا كأيّ خوف - كما في خوف الإنسان من بطش عدوّه - بل هو خوف المحب من إغضاب حبيبه. لذا يمثل جانبا من القوة في رابطة المؤمن بالله عزّ وجل. ولهذا الخوف تعبيران:

الأول: البكاء من خشية الله عزّ وجل.

---

(١) المائدة: ٨٣.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٠ / ٣٨٢.

(٤) غرر الحكم - للآمدي -: ح / ٦٦٤.

(٥) نهج البلاغة - محمد عبدة -: خ / ٨٧ .

الثاني: الورع عن محارم الله تعالى.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله به موسى عليه السلام على الطور: أن يا موسى أبلغ قومك أنه ما يتقرب إلي المتقربون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبد لي المتعبدون بمثل الورع عن محارمي، وما تزين لي المتزينون بمثل الزهد في الدنيا عما بهم الغنى عنه، قال: فقال موسى: يا أكرم الأكرمين فماذا أثبتهم على ذلك؟.

فقال: يا موسى أما المتقربون إلي بالبكاء من خشيتي، فهم في الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد، وأما المتعبدون لي بالورع عن محارمي، فإني أفتش الناس عن أعمالهم ولا أفتشهم حياء منهم، وأما المتقربون إلي بالزهد في الدنيا، فإني أبيحهم الجنة بحذافيرها يتبوؤون منها حيثُ يشاؤون)[1].

وعليه - يا ولدي - فإن البكاء من خشية الله عزّ وجل، يعتبر تحوّلا عظيما في نفس المؤمن، ودليلا على صفائها ونقائها، لأن النفس التي تستوعب عظمة وهيبة خالقها عزّ وجل ولا تخشى إلا إيّاه، هي النفس المطهّرة من ذرّ الأهواء، والشرك، والنفاق، وآثام المظالم والذنوب، فهي لا تركن ولا تطمئن إلا إلى خالقها عزوجل، ولا تتحرّى إلا رضاه في كلّ منحى وسبيل، وفي كل عمل يقربها منه، وبذلك تستحق منه العطاء والتكريم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع: « **ومن ذرفت عيناه من خشية الله، كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل أحد، يكون في ميزانه من الأجر**»[2].

وقال الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: «**ما من قطرة أحب إلى الله عزوجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله عزّ**

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ١٣ / ٣٤٩.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩٣ / ٣٣٤.

وجل»[١].

جاء سبعة من فقراء الأنصار إلى رسول الله ﷺ، وطلبوا منه أن يمكنهم من الإشتراك في الجهاد. فاعتذر إليهم رسول الله ﷺ بعد أن وجد ما يحملهم عليه غير الجهاد وهو النفقة. فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع. فعرفوا بالبكائين. إذ نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[٢]

وإلى جانب هذا المنعطف الذي عليه المؤمن في البكاء من خشية الله عزّ وجل. والتفاعل مع أوامره حرصا على إرضائه. فإنّ البكاء من خشية الله عزّ وجل يطفيء في النفس وهج الفخر والخيلاء والعجب.

إن صفة الخيلاء والعجب - يا ولدي -لهي من أشدّ أمراض العباد. وأخطر الإبتلاءات التي تصيبهم. وهي تسري إلى نفس العابد كما يسري الدم في العروق. فلا يدري إلا وهو في زلة مسقطة أو هوّة سحيقة.

(وقد رُوِي أنّ زنديقاً وصدّيقاً يدخلان مسجداً، فيخرج الصدّيق زنديقاً. لما يُبتلى به من عُجب وغرور، ويخرج الزنديق صدّيقاً. لما يحظى به من توبة ومن استهانته بنفسه بالقياس إلى الصّديق.

ورُوي - أيضاً -: «أنّ عيسى (على نبيّنا وآله و عليه السلام) وصل في سيره في الصحراء إلى صومعة أحد الرهبان، وانشغل بالحديث معه، وإذا بشاب معروف بالفسق والفجور ومشهور بالمعاصي مرّ في ذاك الطريق.

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٩ / ٣٧٨.

(٢) التوبة: ٩٢.

فوقع نظره على عيسى عليه السلام مع ذاك العابد، ففترت رجله عن المشي، ووقف مكانه وقال: يا إلهي لو رآني عيسى على ما أنا عليه من الوضع المخجل ماذا أفعل؟! ولو عاتبني على ما صدر عنّي كيف أُعالج الوضع؟!.

ولمّا وقع نظر العابد على الفاسق رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ لا تحشرني في يوم القيامة مع هذا الفاسق الفاجر، فأوحى اللهّ إلى عيسى عليه السلام: قل لهذا العابد: إنّنا استجبنا دعاءك، ولا نحشرك معه، فإنّه أصبح من أهل الجنّة بتوبته، وأصبحت من أهل النار بغرورك ونخوتك وعجبك»[1].

وأما الورع عن محارم الله عزّ وجل: فهو التعبير العملي الآخر عن خوف العبد المؤمن هيبة لجلال الله تعالى. وبما أن المؤمن يدفعه حياؤه من ربه إلى الورع عن محارمه. فقد وضع الله عزّ وجل جزاءه من سنخ عمله بأن لا يفتشه عن أعماله حياء منه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **قال الله تعالى لموسى** عليه السلام: «**وأجلهم يا موسى إنه لن يلقاني عبد في حاضر القيامة إلا فتشته عما في يديه، إلا من كان من الورعين، فإني أستحيهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب**»[2].

وبما أن الورع عن محارم الله عزّ وجل. يستند إلى استشعار هيبته وجلاله في النفس. فبهذا الحضور الدائم لهيبة الله وجلاله في نفس العبد. سوف يبتني الرادع والزاجر في عمق الضمير.

جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا**

---

(١) تزكية النفس – للسيد الحائري – دام ظله: ١ / ٢٢١.

(٢) كنز العمال – للمتقي الهندي –: ٧٣٢٢.

من قلبه»[١] وهذا الإحساس هو الحارس الأمين، والرادع الحريص على سلامة الدين في نفس الإنسان.

قال الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: «**الورع نظام العبادة فإذا انقطع ذهبت الديانة كما إذا انقطع السلك أتبعه النظام**»[٢].

وفي غرر الحكم عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الورع عون الدين وشيمة المخلصين**»[٣].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**إن أشد العبادة الورع**»[٤].

*****

(١) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٧٠ / ٣٢٧.

(٢) تنبيه الخواطر – مجموعة ورام –: ٢ / ٨٨.

(٣) غرر الحكم – للآمدي –: ح / ٦١٣٣.

(٤) الكافي – للكليني –: ٢ / ٧٧.

-٩-

الشيعة هم أهل الصبر

من المظاهر المشرقة في حياة المؤمن - يا ولدي - ومن منطلقات القوة فيها هو (الصبر) فإنه يشكل درع الحركة في ميدان الصراع من ناحية.

ومن ناحية أخرى: فإنه يدخل في صميم المسؤولية - كما سوف تعرف - كونه مادة الثبات على الحق. قال تعالى - حكاية عن وصية لقمان لولده -: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[1].

حيث يكون الصبر موقع انطلاق لمواجهة كافة الصعوبات والمتاعب والمحن التي تعترض طريق العبد المؤمن. لأنّ رسالة الولاء التي يحملها المؤمن. تعتبر المحور الذي تدور عليه حركة الإمتحان من ناحية. كما أنها من ناحية أخرى: تعتبر مصدرا من مصادر استلهام القوة في طريق هذه المواجهة.

قال رسول الله ﷺ: «**علامة الصابر في ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربّه تعالى، لأنه إذا كسل قد ضيع الحق، وإذا ضجر لم**

(١) لقمان: ١٧.

يؤد الشكر، وإذا شكا من ربه عزوجل فقد عصاه»[١].

ومن هنا أكّد بعض علماء النفس، أن التربية الدينيّة تهدف الى بناء نفس الإنسان، وإنشاء طاقة إيمانية فيها قادرة على امتصاص الألم.

هذه الطاقة الإيمانية، تجعل الإنسان المؤمن يتحسس: أن ما وقع عليه من الأذى والبلاء والمعاناة، هو لإيمانه بالله عزّ وجل، لأن هذه سنة التأريخ التي أثبتت أن دعوى الإيمان والتجاهر بكلمة الحق، تثير لدى أتباع الباطل روح التحدي والتمرد فيكيلون للمؤمن الأذى في كل شأن من شؤون حياته.

فلا يكون الصبر صبرا إلا إذا استوت فيه شخصية الإنسان المؤمن، على حال واحد، واستقامت فكرته، واستقرت نفسه بين حالة الأذى وحالة النصر، وبذلك يصلح أن يكون الصبر دليلا على صحة الإيمان، وعمق منهج التربية الإسلامية.

أما لو لم يستوِ حال الإنسان بين الأذى والنصر، فسوف يتحول الإيمان إلى دعوى كاذبة، كما حدثنا القرآن الكريم بعرض نموذج من الناس الذين لم تستوِ عندهم الأحوال.

قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ**﴾[٢].

بمعنى: أن يصل الجزع والضعف بهذا الإنسان، إلى الدرجة التي يجعل ما يصيبه من أذى الناس وفتنتهم، كما لو ألقاه الله في نار جهنم، فهو يلقي اللوم والتبعة على المؤمنين، ويصفهم بأنهم السبب الذي أوقعه في هذا الأذى والعذاب. وأما في حالة النصر والرخاء

(١) علل الشرائع - للشيخ الصدوق -: ٤٩٨٠ / ١.
(٢) العنكبوت: ١٠.

والسعة ليقولن إنا معكم. أفلا يعلم هؤلاء أن الله عزّ وجل. يعلم ما تنطوي عليه أنفسهم وما تكنه صدورهم؟.

أمّا ما هي المصائب التي ينبغي المصابرة عليها؟. فإنها تعني الخطوب والحوادث التي تصيب الإنسان في نفسه. أو في ماله. أو في أهله.

ويتحدّد موقف الإنسان المؤمن الذي أملته عليه السّماء على ضوء تحديد المصدر الذي تتأتى منه هذه المصائب والحوادث. وهذا المصدر على نحوين:

الأول: أن يكون مصدر المصيبة التي تواجه الإنسان المؤمن. هو المحيط البشري لسوء تصرفه. وتطاول بعضه على البعض الآخر بالقتل والنهب والسلب وغير ذلك من ألوان التعدي.

وفي هذا المجال. فقد أعطت الشريعة الإسلامية للإنسان حق الدفاع عن نفسه. ودرء المصائب. وردّها بما لديه من إمكانات. وبما يتيسر له من وسائل الدفاع. فقال تعالى: **﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**(١).

ومع ذلك فقد أوجد الإسلام خلق العفو والتجاوز عن الغير وحث عليه. فقال تعالى: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا عنت لكم غضبة فادرؤوها بالعفو، إنه ينادي مناد يوم القيامة من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا العافون، ألم تسمعوا قوله تعالى:**

---

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) الشورى: ٤٠.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾»[١].

وليس لما أثاره أعداء الإسلام أيّ أثر على هذا الموقف والوعد بالأجر. من كون الحث على الصبر تخديرا وتسلية لتناسي الآلام. لأن عملية التخدير التي التزمتها الكنيسة هي: إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فقدم له الأيسر. لأن العفو في الإسلام مقترن بالإصلاح كما في منطق الآية الكريمة. أمّا الإبقاء والإغضاء عن اعتداء العاتين والمفسدين فليس من موقف الإسلام بحال من الأحوال.

الثاني: أن يكون مصدر المصائب والمصاعب على الإنسان هو تقدير الله عزّ وجل. والمصائب التي تستند الى السّماء لا يملك الإنسان في مواجهتها وردّها حولا ولا قوة. كالمرض. والزلازل. والعواصف والكوارث الطبيعية.

ومن الطبيعي أن مثل هذه المصائب والكوارث. تهز كيان الإنسان وتحطم آماله لولا عنصر الإيمان والإحساس برحمة الله عزوجل وحكمته في إجرائها وذلك:

١- كون هذه المصائب والمصاعب حافزا من حوافز الإبداع والصنع. إذ لولا استفحال بعض الأمراض والعاهات. ما أبدع الإنسان في ابتكار الدواء والوسائل الطبية المتنوعة للحد من كثير من الأمراض. ولما أبدع وتفنن في ابتكار وسائل الحماية من الزلازل والعواصف وغيرها من الكوارث.

٢- كونها دافعا من دوافع الشكر والثناء على الله عزّ وجل. من خلال الإحساس بقيمة النعمة المسداة منه تعالى. إذ لا تدرك قيمة النعمة إلا بضدها.

ومن هنا شُرّعت صلاة الآيات لحوادث الكسوف والخسوف والزلزلة والرياح

---

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين - لأبي الحسن الديلمي -: ٢٣٧.

السوداء، تعبيراً عملياً عن الشكر للمنعم المتفضل على الحياة باستقامة النظام الكوني.

٣- كونها وسيلة تأديب وحدّ من عنجهية الإنسان وتعاليه وعناده، كما جاء في الحديث: «**لَوْلاَ ثلاثٌ ما طَأطَأ ابنُ آدَمَ رَأسهُ: الفَقْرُ، والمَرَضُ والمَوتُ وإنّهُ مَعَ ذلكَ لوَثّابٌ**»(١).

فعلى ضوء هذه المحاور الثلاثة للإبتلاء، قد قضت حكمة الله في أن يخلق حالة التوازن في شخصيّة الإنسان، بين العنجهية والبطر من ناحية، وبين الضياع واليأس من الرّعاية الربانيّة من ناحية أخرى.

وهذا هو المضمون المقصود للتزكية والتطهير بأنواع البلاء، بل أنّ هذا المضمون هو الغاية حتى من العذاب الذي ينزله الله عزوجل بالإنسان يوم القيامة جراء ذنوبه وتقصيره، وفي هذا المعنى صبّت بعض الأبيات الشعريّة من رباعيّات الخيام:

ربّ أوعدتني بأن جزائي ... لذنوبي العذاب والنيران
فتعجبت من وعيدك هذا ... وأنا في مكانه حيران
أعذابي مكانُهُ منك يخلو ... دلّني أين أين هذا المكان؟
أم مكان تحلّه فمحال ... حيثما أنت رحمة وحنان

وتغرس هذه الرسالة في نفس الإنسان المؤمن تصورا آخر، مضافا الى تصوّر رحمة الله وحنانه، هو غناه عزّ وجل وعدم احتياجه الى عذاب عبده، إذ إنما يحتاج إلى البطش الضعيف.

وهذا ما تعكسه فقرات من دعاء أبي حمزة الثمالي جاء فيها «**اللهم فليس عذابي مما يزيد في ملكك مثقال ذرة، ولو أن عذابي مما يزيد في ملكك لسألتك الصبر عليه وأحببت**

(١) تفسير القرطبي: ١٨ / ١٨١.

أن يكون ذلك لك، ولكن سلطانك اللهم أعظم وملكك أدوم من أن تزيد فيه طاعة المطيعين أو تنقص منه معصية العاصين».

*****

-١٠-

الشيعة هم مصابيح الدّجى

جاء في حديث طويل، يخاطب فيه رسول الله ﷺ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «...**وشيعتك على منهاج الحق والاستقامة، لا يستأنسون إلى من خالفهم، ليست الدنيا منهم وليسوا منها، أولئك مصابيح الدجى، أولئك مصابيح الدجى، أولئك مصابيح الدجى**»[1].

فإن من صفات القوة في شخصية المؤمن، هو صلاح ذاته من خلال طهارة التكوين، ومن خلال منهج التربية الذي هو عليه. فكيف لا يكون مصباحاً يستضاء به؟!.

ولعلك تعلم ـ يا ولدي ـ ماذا يعني المصباح. نعم إنّ المصباح يتزود بالوقود ويعطي سخياً، وبما أن هناك فرقاً بين الكرم والسخاء، إذ أن الكريم يعطي مما عنده.

أما السخي فإنه يعطي كل ما عنده، ويبذل كل ما بوسعه، فليس كل من بذل كل ما عنده يفنى من أجل الغير، إلا المصباح فإنه يحرق نفسه ويفنى ليضيء للغير، فهو يتزود الوقود والطاقة ليعطي الضوء والنور فما أسخاه إذن؟!.

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٣٩ / ٣٠٨.

فهكذا شيعة أهل البيت عليهم السلام - يا ولدي - فإنهم يأخذون لا ليملكوا للذات، بل لينعم غيرهم بهداهم وعطائهم الذي انتهلوه من مصدره، وأخذوه من منهج الحق الذي هم عليه.

وعليه - إذن- فمن أجل أن يكون الشيعة مصابيح هداية للناس. يجب أنْ يتعلموا الخير من قادة الإعداد التربوي. ومن منبثق النور. وأنْ يستضيئوا بنور هداهم ومودتهم. ويستلهموا منهم ما يشاؤون، وهم أهل البيت الطاهر عليهم السلام. الذين يهتدي بهداهم الضالون، ويستنير بفكرهم وبصيرتهم المدلجون. لأنهم المصداق الحقيقي لمصابيح الدّجى. ولأنهم الأمان الحقيقي في غياهب الطرق. وإليك هاتين الروايتين مما يعطي هذا المدلول.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**والذي فلق الحبة وبرا النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادخرتم الخير من موضعه، وأخذتم من الطريق واضحه، وسلكتم من الحق نهجه، لنهجت بكم السبل وبدت لكم الأعلام، وأضاء لكم الإسلام، فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد**»[1].

وعن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر - الباقر - عليه السلام فقال - أبو جعفر-: **يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟**. فقال: هكذا يزعمون.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **بلغني أنك تفسر القرآن**، قال له قتادة: نعم.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: **بعلم تفسره أم بجهل؟**. قال: لا، بعلم

فقال له أبو جعفر عليه السلام: **فإنّ كنت تفسره بعلم فأنت أنت، وأنا أسألك**، قال قتادة: سل.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٨ / ٢٤٠.

قال: **أخبرني عن قول الله عزّ وجل في سبأ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾.**

فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته، بزاد وراحلة وكراء حلال. يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«نشدتك الله يا قتادة، هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال، يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته، ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه»؟.**

قال قتادة: اللهم نعم.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال، يروم هذا البيت عارفا بحقنا، يهوانا قلبه، كما قال الله عزّ وجل: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ ولم يعن البيت فيقول: (إليه) فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التي من هوانا قلبه قبلت حجته، وإلا فلا.**

يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة».

قال قتادة: لا جرم والله ولا فسرتها إلا هكذا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به»**[1].

*****

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٢٤ / ٢٣٧ - ٢٣٨.

-١١-

الشيعة هم أهل الشرف من العرب

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضرب على كتف علي بن أبي طالب عليه السلام بيده. وقال: «**يا علي من أحبنا فهو العربي، ومن أبغضنا فهو العلج، فشيعتنا أهل البيوتات والمعادن والشرف، ومن كان مولده صحيحاً، وما على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا..** الحديث»[1].

إنّ بهذا النص - يا ولدي - الذي يلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله على سمع الأمة. يريد أن يؤكد: أنّ على الذين ينظرون قوة الشخصية من خلال عنصرها وانتمائها القبلي. أن يعلموا أنّ الشيعة هم من أهل البيوتات والمعادن العربية القويّة التي تحظى بالإحترام لديهم.

علاوة على كون هذه البيوتات على ملة إبراهيم عليه السلام التي تتسامى فوق القوميات والعصبيات والعروق. كما يؤكد لنا هذا النص مطلبين مهمين:

الأول: ما يرتبط بنشأة التشيع. وتاريخ تأسيس هذه المدرسة، إذ يؤكد النص ولادة المؤسّسة الشيعية مع ولادة الرسالة الإسلامية التي بلغها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأمة،

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٩٥ / ٢٣.

وأكدها على المسامع بالنص المشهور يوم الغدير قائلاً: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**».

والحديث عن هذا الحدث ـ يا ولدي ـ يحتاج إلى باب واسع، ولم يقصّر أسلافنا في دخول هذا الباب وإشباعه بحثاً وتحقيقاً، وفي طليعتهم المحقق الشهير الشيخ الأميني (قدس) في موسوعة الغدير الكبرى.

الثاني: تقف هذه الحقيقة بوجه كل من يروّج من المدّعيات على الشيعة من بعض الجهات ـ حتى من المسلمين أنفسهم ـ وبدوافع أخرى سياسية، بأن التشيع فارسي المنشأ لا صلة له بأمة العرب ولا بعروبة الأمة.

وأخذت هذه الدعوى مأخذها ـ يا ولدي ـ في أفكار الناس، وفي قلوب الذين يعتزون بقوميتهم وعروبتهم، ولا ضير أن يعتز الإنسان بقوميته، ولكن في حدود ما ينسجم مع مصلحة العقيدة والرسالة.

وكما جاء عن الزهري، قال: سئل الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام عن العصبية، فقال: «**العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحبّ الرجل قومه، ولكن العصبية أن يعين قومه على الظلم**»[1].

وعلينا أن ندرك ـ يا ولدي ـ أنّ الهدف من وراء تلك الدعوى التي راحت تحدّد التشيع بنقطة زمنية خاصة، وتجعله حدثا طارئا على تأريخ الأمة الإسلامية، يتلخص هذا الهدف فيما يلي:

---

(١) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٧ / ٣٨٨.

أوّلاً: تأطير الأمة بإطار قومي ضيق، وبحدود جغرافية معينة هي الجزيرة العربية وتوابعها، وتحجيم دور الرسالة الإسلامية في حدود الأمة العربية. لحجبها عن التأثير في الدائرة الإنسانية الأوسع.

ثانياً: إقصاء شيعة أهل البيت عليهم السلام عن التأثير، وإلغاء دورهم في الإسهام ببناء المجتمع الإسلامي، بزعم أنهم أقلية مضافة إلى القائمة الإسلامية.

ثالثاً: إعطاء الشرعية للأطروحات السياسية المستوردة التي يطرحها الحكام على الواقع، ويلبسونها الثوب الإسلامي وإن كانت غريبة المصدر، لا لشيء إلا لكون معتنقيها عرَباً.

رابعاً: إضعاف الأمة الإسلامية وتفتيت فكرتها وتوزيعها بين الاتجاهات المذهبية، وبالتالي خلق الثغرات التي من خلالها تنفذ السيطرة عليها من قبل أعدائها.

إذن فلنعرف ـ يا ولدي ـ قيمة النص المتقدم الذي يرويه لنا الصّحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكأنه كان يقرأ من بعيد ما يحدثه التاريخ ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام.

*****

-١٢-

الشيعة هم المستضعفون

عن ربيعة بن ناجذ. قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: «**إنما مثل شيعتنا مثل النحلة في الطير ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها فلو أنّ الطير تعلم ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك**»(١).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: «**يا علي، إنّ الله وهبك حبّ المساكين والمستضعفين في الأرض، فرضيت بهم إخواناً، ورضوا بك إماما، فطوبى لمن أحبّك وصدق عليك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك**... الحديث»(٢).

هذه مقطوعة من حديث طويل، تبين أنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم، هم المساكين والمستضعفون، ويتركب من الحديث قضيتان صغرى وكبرى ونتيجة، وذلك بأن تقول: طوبى لمن أحبّ علياً، ومن أحبّه هم المستضعفون، فطوبى للمستضعفين.

وقد تسأل - يا ولدي -: مَنْ هو المستضعف؟ أليس مؤمناً؟ أوليس المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف كما دلت النصوص؟!.

---

(١) مشكاة الأنوار - لأبي الفضل الطبرسي -: ١ / ٤٦.

(٢) رسالة في فضائل الشيعة - للشيخ الصدوق -: ١ / ٨.

وللجواب عن ذلك أقول: إنّ المستضعفين على قسمين:

١- هناك المستضعفون من خلال ذواتهم. بحكم التركيبة الفكرية والنفسية التي هم عليها. وهم الذين استثناهم الله عزّ وجل من المسؤولية في الموقف الشرعي في موارد المسؤولية كالهجرة:

﴿إِلاّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا ۞ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١].

عن ابن الطيار عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن المستضعف فقال: «**هو الذي لا يستطيع حيلة الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان فيؤمن، لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر، فهم الصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان ومن رفع عنه القلم**»[٢].

وسُئل أبو جعفر عليه السلام عن المُستَضعَفِين، فقال: «**البَلْهاءُ في خِدْرها والخادمُ تقول لها: صَلّي فتصلّي، لا تدري إلاّ ما قلتَ لها، والجَلِيبُ الذي لا يدري إلاّ ما قلتَ له، والكبيرُ الفانِي، والصبيُّ الصغير، هؤلاء المُستَضعَفُون.**

فأمّا رجلٌ شديدُ العُنق جَدِلٌ خَصِمٌ يتولّى الشراء والبيع لا تستطيع أن تَغْبِنه في شيء تقول: هذا مُستَضعَف ! لا، ولا كرامة»![٣].

٢- هناك المستضعفون من خلال محيطهم المستكبر. الذي استعلى في الأرض. كما استعلى فرعون وأتباعه على موسى وهارون. فحقق الله تعالى وعده لهما بالنصر. فكانت

---

(١) النساء: ٩٨ - ٩٩.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٩ / ١٥٧.

(٣) غريب بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٢ / ٢٨١.

الغلبة لموسى عليه السلام وأخيه على مكائد الطاغية وأتباعه ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ...﴾.

عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى عليّ والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال: «**أنتم المستضعفون بعدي**».

قال المفضل: فقلت له: ما معنى ذلك يا بن رسول الله؟ قال: «**معناه أنكم الأئمة بعدي، إن الله عزّ وجل يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة**»[1].

فلا غرابة - يا ولدي - في كون شيعة أهل البيت عليهم السلام هم المستضعفون. إذ يرمز استضعافهم إلى قوة موقعهم، وكما قد عرفت لا يستضعف الإنسان من خلال ضعفه. بل لأنه يحمل عنصر قوته في نفسه وإيمان قلبه ونبل أخلاقه، فيستقل شأنه الآخرون، وذلك: لأنّ هناك ضابطاً وحاكماً أخلاقياً يهيمن على واقع ذاته، ويشرف على كوامنه.

فلا تعتقد - يا ولدي - أنّ هناك إنساناً أو مخلوقاً - مهما كان ضعيفاً - أنه لا يحمل دوافع ثورته في نفسه وضميره، فعندما يسحق حق إنسان مّا. أو تهدد قيمه وأخلاقه ولا تثور ثائرته على خصمه، فهو بين أحد حالين، يتحدّد كلّ حال منهما بالقرينة:

فهو: إما أنْ يقعده ضعفه. لأنه لا يملك حولا ولا قوة للإنتصار للحق والقيم. فيمكن في هذا الحال أن يكون مهادناً. وما أكثر أولئك الضعفاء الذين يؤثرون السلامة في النفس والمال والجاه والمركز الإجتماعي على حساب القيم والمبادئ، فترى أحدهم يهادن الباطل، ويساوم على مبادئه، وعلى حساب حياة ودم الآخرين.

وإما أنْ يكون هناك ضابط وحكمة تشرف على كوامنه، وتوجه خفايا ذاته باتجاه

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٢٤ / ١٦٨.

الحفاظ على قيمه وأخلاقه المستقاة من منهج رسالته. وأمثلة ذلك كثيرة على مستوى المواقف. وإليك على هذا الأمر مثالان:

المثال الأول: فقد كان وازع القيم العليا في نفس الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، هو الذي يوجّه كل تصرفاته فيحسبه الجاهل ضعيفاً، في الوقت الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم.

فلقد بغى عليه أعداؤه يوم صفين، ودفع معاوية بعمرو بن العاص للنزول إلى ساحة المعركة مع الإمام علي عليه السلام وحين عرف عمرو بن العاص تقدم الإمام علي عليه السلام نحوه، ولىّ راكضاً فلحقه الإمام علي عليه السلام فطعنه طعنة وقع الرّمح في فصول درعه، فسقط إلى الأرض وخشي من أنْ يقتله الإمام عليّ عليه السلام.

فهنا استضعف عمرو بن العاص نقطة النبل والطهر في الإمام علي عليه السلام «فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف علي عليه السلام وجهه وانصرف إلى عسكره، وجاء عمرو ومعاوية يضحك...»[1].

وكذلك خرج بسر بن أرطاة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو ساكت بحيث لا يعرفه علي عليه السلام لحالة كانت صدرت منه.

فلما نظر إليه علي عليه السلام حمل عليه فسقط بسر عن فرسه على قفاه ورفع رجليه وانكشفت سوأته فصرف علي عليه السلام وجهه عنه، ووثب بسر قائما وسقط المغفر عن رأسه فصاح أصحاب علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، إنه بسر بن أرطأة فقال علي عليه السلام: **ذروه عليه لعنة الله**. فضحك معاوية من بسر، وقال: لا عليك فقد نزل بعمرو مثلها !!)[2].

---

(١) كشف الغمة – للأربلي –: ١ / ٥٩٨.

(٢) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٣٢ / ٥٩٨.

المثال الثاني: صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية. لم يكن نابعا من ضعف في ذاته - يا ولدي - بل استضعفه خصمه بعد أن خذله محيطه. الذي لم يكن بمستوى مسؤوليته تجاه رسالته.

المحيط الذي أغرته المطامع السياسية. واستهوته الحياة الدنيا. فاضطر الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح مع معاوية من موقع القوة والنبل والطهر في الذات. التي لو أرادت الدنيا والمنصب لمصلحتها. لأذعنت لها الدنيا طائعة. لكنها أبت أن تدخر وسعا من أجل حقن دماء المسلمين. وحفظ بيضة الإسلام وذلك:

«لما أحس بدسائس معاوية وتغلغلها بين صفوف جيشه وانحراف بعض قادة الجيش بواسطة المال والمناصب التي أغراهم بها معاوية، وقف بينهم خطيبا ليعرف مدى ما تركته دسائس معاوية من آثار سيئة بين صفوف جيشه.

وما أن قال: «**ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبون في الفرقة واني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري**» حتّى رموه بالكفر ونهبوا ما في خيمته من أمتعة وطعنه الجراح بن سنان الأسدي برمحه، فأصاب فخذه»[1].

*****

(١) تاريخ الفقه الجعفري - هاشم معروف الحسني -: ٤ / ١.

-١٣-

الشيعة هم حزب الله الغالبون

عن أبي اليقظان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحجزة ربّه، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن حزب الله وحزب الله هم الغالبون، والله ما نزعم أنها حجزة الأزار، ولكنها أعظم من ذلك، يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بدين الله، ونحن نجيء آخذين بدين نبينا، ويجيء شيعتنا آخذين بديننا**»[١].

وقال الإمام عليّ عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف: «**طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها، افترشت أرضها وتوسدت كفها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون**»[٢].

إن كلمة «**حزب الله**» ـ يا ولدي ـ تحمل معنى الإنتماء إلى الله عزّ وجل. والإنتماء

---

(١) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٤ / ٣٥.

(٢) مستدرك الوسائل – للنوري –: ١٥ / ٢١.

يعطي المؤمن موقعاً قويا وكريماً عند الله عزوجل، لأن كلمة الحزب تعني الجماعة المناصرة لفكرة أو معتقد تؤمن به. ولا شك أن هذا الإنتماء يختزن - إلى جانب القوة - عمق المسؤولية. التي إن أتم المؤمن أداءَها تجاه رسالة الله عزّ وجل. اقتضى ذلك التأييد الرباني لموقفه وحركته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١).

وقبل أن تطرح كلمة الحزب كأطروحة سياسية على الواقع ـ كما نحن فيه من تعدّد الأحزاب والاتجاهات الفكرية والسياسية ـ فإن الله تعالى قد طرح أطروحته السماوية على واقع الحياة، فقال عزّ وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

ذكر علي بن يوسف بن جبير في كتاب نهج الإيمان قال: الصراط المستقيم هو علي بن أبي طالب عليه السلام لما رواه إبراهيم الثقفي في كتابه بإسناده إلى بريدة الأسلمي. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: «قد سألت الله أنْ يجعلها لعلي عليه السلام ففعل»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٥).

---

(١) محمد: ٧.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٢٤ / ١٧.

(٤) المائدة: ٥٦.

(٥) المجادلة: ٢٢.

وقد تسأل ـ يا ولدي ـ: ماذا يعني تعدد الأحزاب لشيعة أهل البيت عليهم السلام في زماننا، مع أن الكل يحمل الولاء لهذا الخط، وينتهج هذا الصراط الذي دعا إليه الله عزّ وجل؟!.

أقول: عسى أن لا يعني تعدّد الأحزاب والاتجاهات السياسية لدى الشيعة تعدّدا في الخط الفكري، وفي خط الولاء والإقتداء بأهل البيت عليهم السلام بقدر ما يعني هذا التعدّد تعدداً في أساليب العمل وطرق الأداء، من أجل إيصال الفكرة الصحيحة إلى الأمة، فتصب هذه الأساليب والطرق كلها في قناة واحدة. وهي: ترسيخ وإرساء إيديولوجية الرسالة التي عمل على نشرها أهل البيت عليهم السلام.

ففي النهاية، لابد وأن يأخذ الكل من المؤمنين بحجزة محمد وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم)، وهذا ما ركز عليه النص المتقدّم، إذ اتضح في السياق أن معنى الحجزة: هي فكرة الدين الخالص، الذي يصحب الإنسان المؤمن ويقوده إلى الله يوم القيامة، كما قاده إليه في الحياة الدنيا.

أما في مقابل ذلك ـ يا ولدي ـ فقد جاءت الآيات الأخرى تندّد بتعدد الاتجاهات إذا ما أدّت إلى تفريق الدين وشرذمة الفكرة، حيث قال تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[2].

وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بصدد ذلك: «**واعلموا أنكم قد صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه ولا تعرفون من**

---

(١) الروم: ٣.

(٢) الأنعام: ١٥٩.

الإيمان إلا رسمه، تقولون: النار ولا العار، كأنكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه تهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، وأمناً بين خلقه»[1].

*****

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ١٤ / ٤٧٤.

-١٤-

الشيعة هم الشهداء على الناس

كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله، بإسناده عن الثمالي - أبي حمزة - قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**نحن الشهداء على شيعتنا، وشيعتنا شهداء على الناس، وبشهادة شيعتنا يجزون ويعاقبون..**»[١].

بعد أن نعرف - يا ولدي - أنّ الوسطية التي خاطب بها الله عزّ وجل أمّة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله في الآية الكريمة ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[٢]، جاءت مقترنة بحادثة تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة، والتي ثبت أنّ موقعها في وسط الأرض، وهي تمثل المركز، أو المحور الذي تدور حوله كل المواقع وتتجه إليه كل الأطراف من أقاصي الأرض.

نستوحي من ذلك، أنّ الوسطية ترمز إلى قوّة موقع الرّسالة الإسلامية التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه النقطة من الأرض، والتي ينبغي أن تلتقي عندها الشرائع، وتسلم لها الأمم بالإيمان والطاعة ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ**

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧/ ٣٢٥.

(٢) البقرة: ١٤٣.

﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[١].

ومن خلال اقتران الوسطية بالمسؤولية التي أولاها على عاتق المسلمين. فقال:

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ نستوحي كذلك:

أنّ الوسطية تعني: أنكم أصحاب الموقع المسؤول الذي هو بين عديد من الإتجاهات والعقائد والسبل. وأنكم تشرفون من خلال هذا الموقع. بأسنى الدلائل وأبلغ الحجج على كافة الأمم. وأنتم تحملون لها مشعل الهدى وإشارة السلامة من كل تطرف. ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[٢].

لذا فإن هناك مسألة أدق. وهي: أن لا يكون الإنسان شاهدا على غيره ما لم يكن ذا رؤية دقيقة يميز بها بين الحق والباطل. وما لم يكن مستوعبا لتفاصيل موقف الغير المشهود عليه. وما لم يكن قويّا لا تأخذه في الله لومة لائم. فلا ينفعل ولا يداهن ولا يجامل على حساب الحق الذي يراد منه إثباته.

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قوله: «**وأيم الله! لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد صلى الله عليه وآله علينا، ولنشهد على شيعتنا، وليشهد شيعتنا على الناس، أبى الله عزّ وجل أن يكون في حكمه اختلاف، أو بين أهل علمه، تناقض**»[٣].

من هنا نعرف أنّ الله عزّ وجل. ما أوكل إلى الشيعة مهمّة الشهادة على بقية الأمم. إلا بعد أنْ منحهم عنصر القوّة والمنعة. وألقى عليهم خلعة العز ومؤهّلات الصدارة.

---

(١) الفتح: ٢٨.

(٢) يونس: ١٠٨.

(٣) موسوعة الإمام الجواد (عليه السلام) - للحسيني القزويني -: ٤ / ١٤.

التي يستطيعون معها أداء مسؤولية الشهادة على الناس. ودعاهم إلى حمل الأمانة في وعيهم وفكرهم وسلوكهم. وقضى أن لا اختلاف بينهم لأنّ الإختلاف يؤسس حالة من التحامل والميل والصراع والإنفعال.

لذا فقد أسس لنا منهجا كاملا وشاملا في حياة أهل البيت عليهم السلام. علينا أن نترسمه وننتهجه في حياتنا. فقال تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[١].

روى العياشي، عن الباقر عليه السلام أنه قال لبريد العجلي: **تدري ما يعني بـ ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾** قال: قلت: لا. قال: «**ولاية علي والأوصياء**»[٢]

وذكر علي بن يوسف بن جبير في كتاب نهج الايمان قال: الصراط المستقيم هو علي بن أبي طالب عليه السلام لما رواه إبراهيم الثقفي في كتابه بإسناده إلى بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾**: «**قد سألت الله أن يجعلها لعلي عليه السلام ففعل**»[٣]

وعند نزول الآية الكريمة خط رسول الله صلى الله عليه وآله خطا وسطا. وخط عن اليمين وعن الشمال خطوطا عديدة. لإيضاح معنى الإستقامة. قال تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاّ تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾**[٤].

---

(١) الأنعام: ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٦٤ / ٣١.

(٣) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٢٤ / ١٧.

(٤) فصلت: ٣٠.

أي: على الأمّة أن لا تميل عن هذا الخط الوسط. لأن الميل عنه سبب للضعف والزلل والسقوط. أما الإستقامة على الخط الفكري والعملي لأهل البيت عليهم السلام فإنه يحمل للإنسان المؤمن خصائص وعناصر القوّة في فكره وعقيدته ووعيه وسلوكه وأخلاقه.

وكما أوضح الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام مفهوم الوسطيّة بقوله: «**اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة**»[1].

وتعتبر الوسطية طابعا لكلّ ما رسمته رسالة الإسلام للأمة من منهج التعامل والتطبيق لإلتزاماتها على كافة الأصعدة. سواء على مستوى التعامل الطولي مع الله عزّ وجل. أو على مستوى التعامل الأفقي مع بعضها. أي: في الجانب العبادي والجانب الإجتماعي.

*****

(١) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٢٩ / ٥٨٥.

المحور الثالث

مسؤولية الشيعة تجاه رسالتهم

المسؤولية من خلال الموقع

من الطبيعي ـ يا ولدي ـ أن تتناسب درجة المسؤولية مع موقع الإنسان في الواقع الإجتماعي، كما جاء في الحديث الشريف عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عن رعيته، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

فمن خلال ما عرفنا ما لشيعة أهل البيت عليهم السلام من موقع قد أولاهم به الله عزّ وجل، ومن منزلة لهم عنده وعند رسوله صلى الله عليه وآله ومن درجة الالتحام بمركز الإشعاع ومنبع العطاء النبوي، على أساس هذا الموقع تتحدد درجة الإحساس بعظمة الواجب والشعور بالمسؤولية تجاه رسالة الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

إن درجة القرب من هذا الثقل الطاهر، والالتحام بمركز القدوة الصالحة، سوف ينقل هذا الولاء من واقع العاطفة الداخلية. إلى واقع الأداء الصادق للمضامين العالية التي يتضمنها خط أهل البيت عليهم السلام، فيصبح الولاء رسالة عملية تملأ وجود الإنسان وحياته بكل ما يحمل هذا الخط من القيم والأخلاق والمواقف المنتجة للخير في حياة

---

(١) مجموعة ورام: ١ / ٩.

الأمة.

إنّ مثل الإنسان الشيعي - يا ولدي - كمثل الثوب الأبيض. كلما كان قريباً من مركز الضّوء تتبين فيه كل نقطة شاذة عن لونه، لذا فهو ـ بصفته شيعياً ـ بالخيار بين أمرين لا ثالث لهما:

الأول: البقاء على هذا القرب والالتحام بأهل البيت عليهم السلام مركز الإشعاع القيادي، وعليه في هذا الحال أن ينقي كلّ نواحي حياته، لأن هذا المركز سيسلط عليه الأضواء الكاشفة لكل ما فيه من الصفات.

الثاني: الابتعاد عن هذا المركز، والتخفيّ عنه، والهروب بالسلبيات إلى الزّوايا المظلمة من الحياة، وهنا يفتقد الولاء روحه وحركته كرسالة، ويصبح لعقا على لسان مدّعيه.

ولذلك جاءت بعض النصوص الشريفة، لتبرز بعض الصفات والمزايا المترجمة كرسالة عملية للولاء في حياة الشيعة بشتى أنحائها وشؤونها.

*****

-١-

الشيعة هم أهل الطاعة والورع

عن الرضا، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال لخيثمة: «**أبلغ شيعتنا أننا لا نغني من الله شيئاً، وأبلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عند الله إلا بعمل، وأبلغ شيعتنا إن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره، وأبلغ شيعتنا أنهم إذا قاموا بما أمروا به إنهم هم الفائزون يوم القيامة**»[١]

وعن ابن أبي نجران، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «**من عادى شيعتنا فقد عادانا**»، إلى أن قال: «**شيعتنا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويوالوننا أهل البيت ويبرؤون من أعدائنا، أولئك أهل الإيمان والتقى والأمانة، من ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله**»[٢].

إعلم - يا ولدي - أنّ الحق الذي تفرضه رسالة الولاء على الأمة. أن تدين بالطاعة لله عزّ وجل من ناحية، وللقيادة الشرعية من ناحية أخرى. لأنّ الطاعة عبر العلاقة

---

(١) الوسائل - للحر العاملي -: ١ / ٩٣.

(٢) الوسائل - للحر العاملي -: ١ / ٢٤.

الصادقة مع القيادة الشرعية، تدلل على إيمان وثقة الأمة بالله عزّ وجل عبر هؤلاء القادة المعصومين عليهم السلام، في كل ما يقولون. وما يعملون. وما يدعون به إلى الله تعالى.

والطاعة - بصفتها مادة التعامل مع الله عزّ وجل. ومع القادة الذين اصطفاهم لرسالته - فهي تعني تحوّل هذا الولاء إلى واقع متحرّك. يتجاوز الانفعال العاطفي إلى كونه رسالة تغييرية تكاملية. على كافة المستويات الرّوحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، وترفع الإنسان المؤمن عن إتباع الهوى ونزغ الشيطان.

كما إنها تبعث في نفس المؤمن القوّة والتصميم على تجاوز كافة الصعاب والتحدّيات التي تواجهه، وتوحّد كافة الطاقات لخوض ساحة الصراع بين الحق والباطل.

وفي نهاية المطاف تكون الطاعة، هي العلامة الفارقة بين من أخلص لهذه الرسالة، وبين غيره من الذين يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا، فلم يطيعوا إذا أُمِروا ولم يجيبوا إذا دُعُوا.

وهذا ما دعا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يقف متغوثاً من أناس من الرعيل الأول ممن ادّعى التشيّع، فلم يصدق في ولائه لهذه الرسالة. فكان مما قال:

«منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم، أما دين يجمعكم، ولا حميّة تحمشكم، أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، أفلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة»[1].

فلا يكفي الإيمان وحده - يا ولدي - في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتكاملها وفي صنع مستقبلها، ما لم يكن له واقع عملي مشهود، ومنهج ملتزم يدل على صدق الإيمان،

---

(١) شرح نهج البلاغة - لإبن أبي الحديد -: ٢ / ٣٠٠.

من مفردات هذا المنهج، ومن أقله مشقّة، هو أن لا يُفتقد المؤمن حيث أمره الله تعالى، ولا يوجد حيث نهى.

قال جابر بن يزيد الجعفي: دخلت على مولاي أبي جعفر الباقر عليه السلام فقال: «**يا جابر، ليس من انتحل التشيع وحبنا أهل البيت بلسانه كان من شيعتنا، فلا تذهبن بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه.**

إنّ شيعتنا لا يطمعون طمع الغراب، ولا يهرون هرير الكلاب، وإن شيعتنا أهل التواضع والتخشع، والتعبد والورع والاجتهاد، وتعهد الأخوان، ومواصلة الجيران والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والغارمين، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام، وتلاوة القران، وكثرة الذكر لله تعالى، وكف الألسن إلاّ من خير».

فقال جابر: يا مولاي، ما أعرف أحداً اليوم بهذه الصفات.

فقال: «**يا جابر، حَسِبَ الرجل ان يقول أُحب علياً وأتولاه، ولا يكون مع ذلك عاملاً بقوله! فلو قال: أُحب رسول الله - فرسول الله خير من علي - ولم يتبع سيرته، ولم يعمل بسنته، ما أغنى عنه ذلك من الله شيئاً.**

فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، فإن أحب العباد إلى الله أعملهم بطاعته وأتقاهم له، وإنه ليس بين الله وبين أحد قرابة، وما معنا براءة من النار، ولا لنا على الله من حجة، من كان طائعاً لله فهو لنا ولي ولو كان عبداً حبشياً، ومن كان عاصيا لله فهو لنا عدو وإن كان حراً قرشياً.

والله ما تنال شفاعتنا الا بالتقوى والورع والعمل الصالح، والجد والإجتهاد، فلا تغتروا بالعمل ويسقط عنكم، فاذن أنتم أعز على الله منا، فاتقوا الله وكونوا لنا زيناً ولا

تكونوا لنا شيناً، قولوا للناس حسناً، حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم، قولوا فينا كل خير، وادفعوا عنا كل قبيح، وجروا إلينا كل مودة.

فما قيل فينا من خير فنحن أهله، وما قيل فينا من شر فلسنا كذلك، لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وولادة طاهرة طيبة، فهكذا قولوا، ولا تعدوا بنا أقدارنا، فإنما نحن عبيد الله مربوبون، لا نملك إلاّ ما ملكنا، ولا نأخذ إلاّ ما أعطانا، لا نستطيع لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

لا والله لا أعلم - أنا، ولا أحد من آبائي - الغيب، ولا يعلم الغيب إلاّ الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان: ٣٤»[1]

*****

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ١٠ / ٢٠-٢١.

-٢-

الشيعة هم أنصار الله

عن محمد بن حمران، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: **خرجت أنا وأبي ذات يوم إلى المسجد، فإذا هو بأناس من أصحابه بين القبر والمنبر، قال: فدنا منهم وسلم عليهم وقال: «إني والله لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينوا على ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد».**

إلى قوله عليه السلام: **«أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلى محبتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة...»**[1].

فهذه عدة أوصاف للشيعة ـ يا ولدي ـ في طليعتها كونهم أنصار الله، فهناك سؤال يطرح نفسه علينا: كيف يحقق الإنسان المؤمن نصرته لله عزّ وجل؟ فالجواب: تتحقق نصرة الله على أساسين:

الأول: نصرة المنبع. بمعنى: أن منبع الهدى الذي يغتذي منه الإنسان المؤمن رؤاه ومفاهيمه، هم أهل البيت عليهم السلام الذين خصهم الله بالكرامة، وحباهم بالرسالة، وجعلهم ورثة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمة، وعلّمهم علم ما كان وعلم

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧ / ٢٠٣.

ما بقي، وجعلهم سفن نجاة الأمة، فنصرة الله تعالى تتحقق بنصرة وإسناد هؤلاء القادة عليهم السلام.

فإن المؤمن الذي ينهل الهدى من هذا المنبع - يا ولدي - كمن ينهل الماء من عين تروي ظمأه، وتطفئ نار عطشه. فكان عليه أن يحرص كل الحرص على حماية هذه العين التي تغدق عليه ماء الحياة، ويسهر في سبيل دفع كل ما يدعو إلى إطمائها.

وكمن ركب سفينة لعبور البحر الزاخر بالموج عليه أن يحرص على سلامة هذه السفينة من الخرق لأنها سبب سلامته، وعليه أن يضرب بقوّة على يد كلّ من يمسك معولا بهدف الخرق والتخريب لهذه السفينة.

فإلى جانب رعاية الله تعالى وتسديده وحمايته لينابيع الهدى ومصابيح الدجى، وسفن النجاة العائمة في بحر الحياة الزاخر بالأمواج العاتية، على المؤمن أن ينذر نفسه مشروعا للنصرة والذب والدفاع عن هؤلاء القادة بالفكرة الرصينة والمفهوم الصحيح، والحجة الدامغة، والسلوك القويم، والخلق الجميل.

وفي حديث طويل لرسول الله صلى الله عليه وآله في الثناء على الشيعة، ونصرتهم لهذا المنبع الذي تتمثل فيه القيادة الشرعية، قال:

«يا علي لا ترغب عن نصر قوم يبلغهم أو يسمعون أني احبك فأحبوك لحبي إياك، ودانوا الله عزّ وجل بذلك، وأعطوك صفوا المودة من قلوبهم، واختاروك على الآباء والاخوة والاولاد، وسلكوا طريقك وقد حملوا على المكاره فينا فأبوا إلا نصرنا، وبذلوا المهج فينا مع الاذى وسوء القول وما يقاسونه من مضاضة ذلك، فكن بهم رحيما واقنع بهم، فإن الله اختارهم بعلمه لنا من بين الخلق وخلقهم من طينتنا و استودعهم سرنا، وألزم قلوبهم معرفة حقنا، وشرح صدورهم وجعلهم متمسكين بحبلنا، لا يؤثرون

علينا من خالفنا مع ما يزول من الدنيا عنهم وميل الشيطان بالمكاره عليهم، أيدهم الله وسلك بهم طريق الهدى فاعتصموا به»[١].

الثاني: صدق الإقتداء بهذه القيادة بالتآزر والتلاحم من أجل نصرة الحق: فلم يصف الإمام عليه السلام شيعته بهذا الوصف ما لم يصدق لديهم الإقتداء بمن هم قدوة كل الإنسانية، الذين لم يتخلفوا عن نصرة الله ورسوله طرفة عين أبدا.

وفي طليعتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان قد شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، وما كانت تأخذه في الله لومة لائم في نصرة دين الله وتأييد رسول الله صلى الله عليه وآله، والشدّ على يده في المواقف الصعبة، والمضي على خط التبليغ والجهاد بكلّ ما يملك من أسباب المساندة والتأييد.

وها هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه لابن عباس. يلفت النظر إلى ضرورة الإلتحام مع البعض. للتصدي لكل فتنة عمياء تهدف إلى شرذمة الأمة وحرفها عن الحق. حيث قال:

«وبالله أحلف - يابن عباس - انه كما فتح بنا يختم بنا، وما أقول لك إلا حقا. يابن عباس! إن الظلم يتسق لهذه الامة ويطول الظلم، ويظهر الفسق، وتعلو كلمة الظالمين، ولقد أخذ الله على أولياء الدين أن لا يقاروا أعداءه، بذلك أمر الله في كتابه على لسان الصادق رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾»[٢].

وعلى هذا الأساس - يا ولدي - فإن الإمام الباقر عليه السلام في خطابه للشيعة،- في مفتتح الحديث. ووصفهم بهذا الوصف، أراد نصرة دين الله عزّ وجل بشدّ البعض أزر البعض

---

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٣٩ / ٣٠٩.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٢٩ / ٥٥٤.

في انتهاج هذا الخط، وبالإستباق إلى عمل كل خير كما استبقوا في خط الولاء والمحبة لأهل البيت عليهم السلام.

*****

-٣-

الشيعة هم أهل الوفاء والصدق

عن بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول: «**إن الله أخذ ميثاق شيعتنا وهم ذر، يوم أخذ الميثاق على الذر بالإقرار له بالربوبية، ولمحمد بالنبوّة**»[١].

عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: «**شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجون البيت و يجتنبون كل محرم**»[٢]

وعن أبي حمزة الثمالي رحمه الله، عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي عليه السلام، قال سمعته يقول: «**أربع من كن فيه كمل إسلامه، وأعين على إيمانه، ومحصت ذنوبه، ولقي ربه وهو عنه راض، ولو كان فيما بين قرنه إلى قدمه ذنوب حطها الله تعالى عنه، وهي: الوفاء بما يجعل الله على نفسه، وصدق اللسان مع الناس، والحياء مما يقبح عند الله وعند الناس، وحسن**

---

(١) الكافي – للكليني –: ١ / ٤٣٦.

(٢) صفات الشيعة: ١ / ١.

الخلق مع الأهل والناس»[١].

وقد ورد الوفاء في عيون الحكم تحت عدة عناوين: - الوفاء حصن السؤدد - الوفاء كرم - الوفاء نبل - الوفاء حلية العقل وعنوان النبل - الوفاء عنوان الصفاء - الوفاء حفظ الذمام - أشرف الخلائق الوفاء - إذا اتخذك وليك أخا فكن له عبدا وامنحه صدق الوفاء وحسن الصفاء - إنّ من الكرم الوفاء بالذمم - بحسن الوفاء يعرف الابرار - حسن الوفاء يجزل الاجر ويجمل الثناء - دار الوفاء لا تخلو من كريم ولا يستقر بها لئيم - سبب الإئتلاف الوفاء - من أحسن الوفاء استحق الاصطفاء - من دلائل الايمان الوفاء بالعهد - نعم قرين الامانة الوفاء.

ولا تخفى الملازمة بين الوفاء والصدق. كما في غرر الحكم: « إن الوفاء توأم الصدق و ما أعرف جُنّة أوقى منه»[٢].لأن الصدق يشمل الصدق في القول والعمل. والوفاء ترجمة عملية للصدق في القول والعمل في . وأظهر مصاديق الصدق الوفاء هو بالعهد إذ قيل: «أحسن الصدق الوفاء بالعهد وأفضل الجود بذل الجهد»[٣].

ومعنى العهد: الوصية، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة، والعهد: الموثق وجمعه عهود، والعهد من المقدسات، وسمّي العهد عهداً ـ يا ولدي ـ لأن الله عزّ وجل عهده إلى عباده وشدّ طرفيه ووثقه، فأصبح رابطا بينه وبينهم، فمن نقضه فليس من الله في شيء، ومن حفظه ورعاه فهو في رعاية الله وتسديده.

وأول عهد وثقه الله في ذمة عباده المؤمنين، بعد الإقرار بتوحيده، وأكده رسول

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ١ / ٢١١.
(٢) غرر الحكم: ١ / ١٦٧.
(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١ / ١٠٩.

الله ﷺ على أمته بتوجيه الجليل الأعلى عزّ وجل في قوله: ﴿**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[١]. هو عهد الولاء والمودّة والطاعة لأهل البيت عليهم السلام، وإن الوفاء بعهد الله وميثاقه في ولاء أهل البيت عليهم السلام هو المنطلق للوفاء بالعهود، وتبادل الحب والرحمة، وهو من علائم أهل الإيمان والطاعة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن لأهل الدّين علامات يعرفون بها، صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء العهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء»**[٢]

*****

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الوسائل – للحر العاملي –: ١٥ / ١٩.

-٤-

الشيعة أهل الصبر على الحق

عن الوشاء، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنا صبر وشيعتنا أصبر منا**، قلت: جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: **لأنا صبرنا على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون**»[1].

إنّ للصبر في نظرية أهل البيت عليهم السلام ـ يا ولدي ـ بعداً أكبر ممّا يتصوّره الإنسان من كونه تحمّلاً للمصيبة الواقعة، أو تجلداً للرزء الفاظع الذي يحل بالنفس أو المال أو الأهل.

يتمثل هذا البعد في كون الصبر هو العمل بالمنهج. الذي يرشد لكيفية التعامل مع الحدث الواقع، مهما كان حجمه وألمه في سبيل أداء الواجب الرسالي، كما جاء في وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده حيث قال:

«**وأمرْ بالمعروف تكن من أهله، وانه عن المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات للحق حيث كان، وتفقه في الدّين، وعوّد نفسك التصبّر على المكروه، فنعم الخلق التصبّر**

(١) الكافي - للكليني -: ١ / ٩١.

في الحق»[١].

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يؤطر كل النشاطات بالصبر ليؤكد أن الصبر عنصر متحرك في كل شرايين الحياة المليئة بالعناء والأتعاب، خصوصاً على مستوى تبليغ الرّسالة والتمسك بالحق.

وكما روى أبو حمزة الثمالي، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «**لما حضرت أبي الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال: يا بني اصبر على الحق إن كان مرّا، يوفّ إليك أجرك بغير حساب**»[٢].

نعم لقد صبر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على ما يعلمون، أي بما منحهم الله عزوجل من إمكانات وقدرات نفسية وعلمية وإيمانية، استطاعوا معها أن يتعاملوا مع الحدث، وأن يتجاوزوا ويتحدّوا كل الظروف والأحوال دون الوقوع في المخالفة. إذ عصمهم الله تعالى وسدّدهم في كل الأحوال، ولكن ضمن النواميس والقوانين الطبيعية.

أما الشيعة ـ يا ولدي ـ فإنهم سيصبرون على ما لا يعلمون كما تقدم في الحديث، إلا في حدود نظرهم القاصر ورؤيتهم المبسطة التي لا يستطيعون معها أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً أو يدفعوا عنها ضرّاً سوى إيمانهم وتسليمهم واطمئنانهم بتسديد الله تعالى وتوفيقه.

قال الله عزّ وجل: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[٣]

*****

(١) نهج البلاغة - محمد عبدة -: ص: ٣٩١.
(٢) الكافي - للكليني -: ١ / ٤١.
(٣) آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤.

-٥-

الشيعة من كَفّوا عن فضول الكلام

عن سليمان بن مهران. قال: دخلت على الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام وعنده نفر من الشيعة، وهو يقول: «**معاشر الشيعة كونوا لنا زَيناً، ولا تكونوا علينا شَيْناً، قولوا للناس حسنا، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبح القول**»[1].

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام. قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**طوبى لكل عبد نؤمة لا يؤبه له، يعرف الناس ولا يعرفه الناس، يعرفه الله منه برضوان، أولئك مصابيح الهدى، ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة، ويفتح لهم باب كل رحمة، ليسوا بالبذر المذاييع، ولا الجفاة المرائين**».

وقال عليه السلام: «**قولوا الخير تعرفوا، واعملوا الخير تكونوا من أهله، ولا تكونوا عجّلاً مذاييع، فإن خياركم الذين إذا نُظِر إليهم ذُكِر الله**...الحديث»[2].

طوبى لكل عبد نؤمة، والنؤمة ـ يا ولدي ـ هو من التزم الصمت ، ولكن هل هو الصمت لمطلق الصمت؟ كلاّ، إنه الصمت عن فضول الكلام لا عن قول الخير وعمله

---

(١) مستدرك سفينة البحار – للشيخ علي النمازي –: ١٢٣ / ح / ١.

(٢) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٧٢ / ٨٠.

كما نستفيده من النصين الشريفين.

لذا ورد في عيون الحكم في الصمت: الصمت يكسيك ثوب الوقار و يكفيك مؤنة الاعتذار- الصمت وقار وسلامة - الصمت روضة الفكر - الصمت نجاة - الصمت آية الحلم - أحسن الصمت ما كان عن الزلل - أحمد من البلاغة الصمت حين لا ينبغي الكلام - رب نطق أحسن منه الصمت - سبب السلامة الصمت - غطاء المساوئ الصمت - كن صموتا من غير عي فإن الصمت زينة العالم وستر الجاهل - نعم قرين الحلم الصمت - لا خازن أفضل من الصمت - لا خير في الصمت عن الحكمة كما لا خير في القول مع الجهل.

فإذا عرف الإنسان المؤمن متى وفي أي موضع يتكلم، ومتى وفي أي موضع يصمت كان هو النؤمة، أمّا الذين يحبون أن يتكلموا فقط، فهم البذر المذاييع، الذين يفتتن الناس بكلامهم وهم جفاة مراؤون، همهم أن يعرفوا بما يقولون وإن كان سيّئاً.

فاللسان - يا ولدي - وسيلة التعبير عن المضمون الذي في القلب، فإن قال الإنسان حسنا شدّ القلوب إلى بعضها، وإن قال سيّئاً نفرعنه القلوب وقطع ما بينه وبينها من روابط المحبة، وفتح لنزغ الشيطان طريقاً إلى التدخل في شؤون المؤمنين.

قال الله عزّ وجل: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾[1].

فالقول الأحسن - يا ولدي - هو الكلمة الأمينة التي تعرّف الإنسان الحق، وتحمل إليه الخير وتدعوه إلى الصواب، وهل يتم التعريف بالحق والدعوة إلى الصواب ما لم يكن المتكلم المؤمن معبراً عن رأيه وأصالته لاعن رأي غيره؟ ومتحرّكاً بفكرته لا بفكرة

(١) الإسراء: ٥٣.

غيره من ناحية؟ ومن ناحية أخرى، أن يتحرّى الكلمة السديدة والقولة الحكيمة.

لذلك قال الله عزّ وجل: ﴿**أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[١].

والحكمة: هي الفكرة الرصينة والمفهوم الصحيح، الذي يهدي ويشدّ قاعدة البناء في الشخصية، والموعظة الحسنة: هي اللين والرّحمة ورقّة الطبع.

فإذا دخلت دوافع التشهير والسخرية ـ يا ولدي ـ في الحوار والدعوة، دخل نزغ الشيطان، والنزغ: الفساد وإغراء وحمل البعض على البعض، ولقد كان المنافقون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ ويزدرون بهم ويسخرون.

فقالوا: يا رسول الله ائذن لنا بقتالهم، فقال: **إني لم أؤمر فيهم بشيء، وأوصاهم بالصّبر والهدوء**، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**.....﴾[٢]. فأوصاهم القرآن الكريم بالقول الحسن، وكلمة اللين والرّحمة أمام عتوّ المنافقين، فكيف ستكون درجة الرّحمة في تعامل بعضهم مع البعض؟!.

*****

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) الإسراء: ٥٣.

-٦-

الشيعة هم أهل الخلق الحسن

من المظاهر المشرقة، ومن مواد التعامل في حياة العبد المؤمن (حسن الخلق)، وهو مجموعة من السجايا والصفات الأخلاقية الحسنة المستقاة من منهج أهل البيت عليهم السلام، والتي يتعامل بها.

ويمثل حسن الخلق خلعة فاخرة مرصّعة بأجمل الصفات، يلقيها منهج العبادة على واقع السلوك وخط التعامل الإجتماعي.

وقد أوجز لنا الإمام الصادق عليه السلام صورة تعطي ملامح هذه الخلعة، حيث سئل عليه السلام عن حد حسن الخلق؟ فقال: «**تلين جانبك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك المؤمن ببشر حسن**»[1].

فإنه يؤكد أن وسيلة التعبير التي تظهر حسن الخلق تتمثل في هذه الأبعاد الثلاثة وهي: في الحركة والسلوك الحسن، وفي القول والكلمة الطيبة، وفي النظرة وبشر وطلاقة الوجه.

---

(١) الوسائل - للحر العاملي: ٥ / ٢٥١.

ومن خلال هذه الخلعة الجميلة. ومن خلال القيم الأخلاقية المستلهمة. يتبين أثر العبادة ونجاح هذا المنهج في تنمية وتربية القيم الأخلاقية. وببيان أوسع. فقد انتهج الإسلام لتحقيق أهدافه الأخلاقية في الحياة ثلاثة طرق:

الأول: إيجاد القدوات الصالحة. التي يقتدي بها المؤمن في حياته الإجتماعية. وفي طليعتها هم الأنبياء والرسل. وفي مقدمتهم المثل الإنساني الأعلى رسول الله محمد ﷺ. فهناك إشارة عامة الى هذه القدوات في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[1].

وهناك إشارة خاصّة الى القدوة الحسنة للبشريّة عامّة. وهو رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[2].

هؤلاء القادة القدوات. الذين خلفوا للأمة منهجا موضحا من الأحكام والقرارات والإلتزامات تجاه الله عزّ وجل. كما خلفوا للأمّة تأريخا ناصعا متوجا بالمواقف الحافلة بالقيم والمثل العليا.

الثاني: التوعية الأخلاقية. وتبليغ القيم والمباديء الأخلاقية. التي تعتبر جزءً من الوظيفة التبليغية العامّة. التي تبناها القادة القدوات. وخصوصا رسول الله ﷺ حيث قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

فكان اهتمام رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام. الى جانب تبليغ أحكام وواجبات التشريع الإسلامي. تكوين المعرفة بالخلق والقيم الإنسانية النبيلة. كالصّدق. والأمانة. والوفاء. والحلم. والرّحمة. وغيرها من السّجايا.

---

(١) الأنعام: ٩٠.

(٢) الأحزاب: ٢١.

والهدف من هذه التوعية المتبناة ضمن الخط التبليغي، هو: تكوين الإحساس الباطني الذي يستطيع معه الإنسان التمييز بين الخير والشر للعمل بهذا وترك ذاك، وتربية نوازع الخير والإستقامة في النفس، ومكافحة النوازع المريضة واستئصالها من أعماق النفس، وإنقاذ الشخصيّة من مرض الإنقسام الذاتي بالتوحيد بين الإتجاه الباطني والسّلوك الخارجي الذي يمارسه الإنسان في محيطه، وبالتالي توفيرالسّعادة النفسيّة، والسّلام الإجتماعي الذي يتوقف على الإتزان والإستقرار النفسي الباطني للإنسان.

الثالث: الإستلهام من المنهج العبادي، الذي يتكفل من خلال خطوطه العامّة، ترويض النفس الإنسانية وتوطينها على العمل الخالص لوجه الله، والهادف الى مرضاته عزوجل، مما ينتج تربية الملكات الأخلاقية والسّجايا المتأصّلة في النفس، إستلهاما من مضامين المنهج العبادي، لتصبح هذه الصّفات والسّجايا صيغة عمليّة ثابتة، لامجرّد حالة عابرة.

ولهذا أفادت النصوص الشريفة: أن الأخلاق الحسنة هي الدّين بحد ذاته، لأنها مولودة من صميم الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما ولد الدّين من صميم هذه الفطرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الدّين المعاملة**»، وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله من بين يديه، فقال: ما الدّين؟، فقال: «**حسن الخلق**»، ثم أتاه عن يمينه فقال: ما الدّين؟ فقال: «**حسن الخلق**»، ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدّين؟ فقال: «**حسن الخلق**»، ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدّين؟ فالتفت إليه وقال: «**أما تفقه؟، الدّين هو أن لا تغضب**»[1].

إنّ هذا الجواب يحمل معه دلالته العملية، حيث ترى النبي صلى الله عليه وآله يتسع صدره لهذه اللجاجة من السائل، وعدم استيعابه للجواب على سؤاله، وفي نفس الوقت يؤكد للسائل

(١) تنبيه الخواطر - مجموعة ورام -: ٢ / ٨٩.

من خلال هذا التعامل: أنّ منطلق الخلق الإسلامي. أن يكون المؤمن رحب الصدر. لين الجانب. بعيدا عن الإنفعال والقسوة في التعامل مع الغير.

وقال رسول الله ﷺ: «**جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده، فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله**»(١).

هذا مضافا الى النصوص التي بينت المردود الرّباني الذي يفيضه على العبد المؤمن لحسن خلقه. والمنازل الأخروية الرفيعة التي أعدّها الله عزّ وجل له.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح**»(٢)

وقال ﷺ: «**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة**»(٣).

وقال ﷺ: «**ما يوضع في ميزان امريء يوم القيامة أفضل من حسن خلقه**»(٤).

فحسب العبد المؤمن من هذه الإشراقات والمعطيات اللامعة على حياته الخاصة والعامة. ما يكفي دليلا صادقا على كفاءة الرّسالة التي يؤمن بها. والمنهج الذي يترسمه.

فما عليه إلا أن يزداد التحاما بهذا المنهج. ويجتهد في الإستفادة منه لبناء حياة الدارين الدنيا والآخرة ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٥).

*****

(١) تنبيه الخواطر- مجموعة ورام -: ٢ / ١٢٢.
(٢) الكافي - للكليني -: ٢ / ١٠١.
(٣) الدر المنثور - للسيوطي -: ٢ / ٤٣٤.
(٤) الكافي - للكليني -: ٢ / ٩٩.
(٥) النحل: ٩٧.

-٧-

الشيعة هم أهل الحب لإخوانهم

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: **قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودّتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوزوا، وسلم لمن خالطوا»**[1]

وعنه عليه السلام في وصاياه لبعض شيعته: **«شيعتنا من لا يمدح لنا معيباً، ولا يواصل لنا مبغضاً، ولا يجالس لنا قالياً، إن لقي مؤمناً أكرمه، وإن لقي جاهلاً هجره..»**[2].

بما أن التشيّع ـ يا ولدي ـ في نظريّة أهل البيت عليهم السلام، ليس انتحالا للمودّة فقط، بل هو المودّة من صميم العقيدة وعمق القلب، فالنتيجة أن تترشح من مودّتهم خيوط المودّة والرّحمة لأولياء الله عزّ وجل.

فلو كان الأمر ـ يا ولدي ـ عكس هذا لاختلط الحق بالباطل وكان الشيعي أشدّ فتنة على هذه الرسالة، كما عن الحسن بن علي الخزار، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: **«إنّ ممّن ينتحل مودتنا أهل البيت من هو أشدّ فتنة على شيعتنا من الدجّال»** . فقلت: لماذا؟

---

(١) الوسائل - للحر العاملي -: ١٥ / ٨٩.

(٢) دعائم الإسلام - النعمان بن محمد التميمي المغربي -: ١ / ٦٤.

قال عليه السلام: «**بموالاة أعدائنا ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان كذلك، اختلط الحق بالباطل، واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق**»(١)

فلا يمكن أن يجتمع حب الأولياء وحب الأعداء في قلب مؤمن قط، كما قرر ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**من أحب كافرا فقد أبغض الله، ومن أبغض كافرا فقد أحب الله، ثم قال: صديق عدو الله عدو لله**»(٢)

وبإمكان الإنسان ـ يا ولدي ـ أن يختبر نفسه وينظر إلى قلبه، ليرى درجة حب الأولياء وبغض الأعداء في نفسه.

وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا والله يحبك فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وإن كان يحب أهل معصية الله ويبغض أهل طاعته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب**»(٣)

والأهم من ذلك، أنّ النص الشريف الذي تصدّر الحديث عن حب الإخوان، قد رتب ثمرة تتصل برسالة الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وهي أن يكون هذا الولاء حركة هادفة باتجاه التغيير والبناء، الذي يرتكز على قاعدة التلاحم وحب البعض للبعض.

وقد قرر القرآن الكريم ذلك من قبل بقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٤).

*****

(١) الوسائل – للحر العاملي –: ١٦ / ١٧٩.
(٢) الوسائل – للحر العاملي –: ١٦ / ١٨.
(٣) الوسائل – للحر العاملي –: ١٦ / ١٨٣.
(٤) التوبة: ٧.

-٨-

الشيعة هم أهل التواضع

من كلمات مولانا الإمام الباقر عليه السلام: «**والله ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلاّ بالتواضع والتخشّع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله**..الحديث»[١]

من المظاهر المشرقة في سلوك المؤمن هو: التواضع. والتواضع رؤية موضوعية. تضع النفس منزلها في الحياة الإجتماعية. وصفة تظهر آثارها على التعامل الخارجي.

قال الله عزّ وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢]

وقال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾[٣].

فالتواضع سمة يستلهمها العبد المؤمن من خلال الأداء العبادي الصادق. الذي

---

(١) مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي -: ١٢٣ / ح/ ١.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) الفرقان: ٦٣.

يظهر أثره على الجوارح. والتواضع حلية العبادة وبهاؤها وزينتها. كما قال رسول الله ﷺ: «**الخشوع زينة الصلاة**»[١]. وهو المنطلق الذي ينطلق من خلاله العبد المؤمن الى ميدان التعامل الإجتماعي.

وقد جاء في دعاء كميل: «**اَللّهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ خاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خاشِعٍ اَنْ تُسامِحَني وَتَرْحَمَني وَتَجْعَلَني بِقِسْمِكَ راضِياً قانِعاً وَفي جَميعِ الأَحْوالِ مُتَواضِعاً**».

وفي هذا تأكيد على أن العبادة الحقيقية. تحرك في الإنسان المؤمن كل أحاسيسه ومشاعره بإتجاه الخشوع والتذلل لله عزّ وجل. وتنمي فيه خلق التواضع في كل حالة من حالاته. سواء في فقره. أو في غناه. أو في ضعفه. أو في قوته. ومع كافة الأجناس والطبقات البشرية. فلا يختلف لديه الغنى والفقر والجاه والضعة.

ومن ناحية أخرى. جاء في وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام: «**يا هشام، إن لكل شيء دليلا، ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع**»[٢].

فهنا يؤكد الإمام عليه السلام: على أن من يريد أن يستدل على قوة عقله. فلينظر هل أنه دائم التفكر؟ وبما أن التفكر يعني حركة العقل الدائمة في طريق الإبداع والإنتاج والعطاء. وبما أن الحياة تحتاج إلى الحركة الفكرية من أجل الإنتاج.

فإن حركة العقل لا تنتج ولا تبدع. ولا تعطي ثمرتها في خضم الصخب والضجيج. وكثرة الكلام. والثرثرة والضوضاء. بل في نطاق الصمت. والهدوء والتروي. وتحري الحكمة في كل حركة ونشاط.

---

(١) جامع الأخبار: ٣٣٧.

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري -: ١١ / ٢٤٠.

ثم أن حركة العقل هذه تحتاج إلى مطية. ومطية العقل التواضع. الذي يعني: فهم الإنسان لذاته. ووعيه لقدره ومكانه وقيمته وحجمه. أما الإنسان الذي لم يفهم حجمه. ولم يضع نفسه موضعها.

فإنه لا يستطيع أن يتحرّك في خط الإبداع والإنتاج والعطاء للحياة. بل يتحرّك لذاته ومصالحه وأنانيته. ومن يتحرّك لأنانيته. فهو كمن يسير المسافات الطويلة بلا واسطة. فيحمل نفسه فوق طاقتها. فيكون عرضة للسقوط والضياع.

ومن خلال معرفة الإنسان لموقعه في الحياة. ومواقع من حوله من البشر. يستطيع أن يعطي كل ذي حق حقه من الإحترام والقدر والتقييم.

وبهذه الحركة الفكرية يستطيع العقل أن يدرك: أن ما لديه من مواهب المال. والقوة. والجاه. والنفوذ. إنما هي من الله عزّ وجل. الذي كما هو القادر على إعطائها فهو قادر على سلبها من قائمة وجود الإنسان.

وبهذا الفهم. تكون هذه المواهب دائما. داعية إلى تعميق العلاقة. وتوطيد الرابطة بالله عزّ وجل. لتنعكس آثارها على مستوى التعامل مع الناس.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[1]. أي: خاضعون متواضعون متذللون. لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم. ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا.

وروي أن رسول الله ﷺ. رأى رجلا يعبث في صلاته بلحيته. فقال: «**أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**». وفي هذا النص دلالة على أن الخشوع في الصلاة فعل من

---

(١) المؤمنون: ١ - ٢.

أفعال القلب تظهر آثاره على الجوارح.

«فأمّا بالقلب. فهو أن يفرّغ المؤمن قلبه بجمع الهمّة للعبادة والإعراض عمّا سواها. فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود. وأمّا بالجوارح فهو: غض البصر والإقبال عليها. وترك الإلتفات والعبث»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة**»؟. قالوا: وما حلاوة العبادة؟. قال: «**التواضع**»[٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**عليك بالتواضع فإنه من أعظم العبادة**»[٣]

وسأل بن الجهم الإمام الرضا عليه السلام: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعا؟ قال:

«**التواضع درجات، منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عافٍ عن الناس والله يحب المحسنين**»[٤].

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأنا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعة علي بن أبي طالب حقا**»[٥].

---

(١) مجمع البيان - للشيخ الطبرسي -: ٧/ ١٥٧.
(٢) تنبيه الخواطر - مجموعة ورام -: ١/ ٢٠١.
(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٥/ ١١٩.
(٤) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٨/ ٨٠ ح ٦٦.
(٥) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٥/ ١١٧.

وهذه الصفة غالبا ما تكون أمرا صعبا لدى الكثير من الناس. إذ ليس من السّهل أن يتنازل الإنسان عن ذاته وشأنه وكبريائه. ويرى نفسه أهون من الآخرين. فيعاكس بذلك تيارا غرائزيّا عارما يسمّى (حب الذات).

هذه الغريزة. التي أفرزت وتفرز ألوانا من التصرّفات عند بعض الناس. وصلت الى مستوى الإستعلاء. والتسلط. والتحكم. والإستهانة بالكرامات والمقدّرات الإنسانيّة.

وما ظُلِمت شعوب. وسُحِقت مقدّراتها. وانتهت بها عجلة التأريخ إلى أن ترزح تحت مطرقة الحرمان إلى الموت. إلا بعد أن فقدت الحياة الإجتماعيّة هذا الوجه الإنساني المشرق. وتجاهل البعض حق الآخرين في العيش الحرّ الكريم.

وفي قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1] حصر القرآن الكريم التواضع. في تواضع المؤمن لأخيه المؤمن. وذلك لأنّ تواضع المؤمن للمؤمن. يصب في قناة الخضوع والتذلل لله عزّ وجل. فيصبح وجها مشرقا من وجوه عبادة الله تعالى. وموجبا من موجبات محبّته عزوجل لعبده المؤمن.

أما تواضع الإنسان للغني لغناه. ولصاحب الجاه لجاهه. فهو تجاوز على مقام الله عزّ وجل. وخرق لناموس العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن. وتجاوز على قدسيّة الرّداء الذي ألبسه الله عزّ وجل لعباده المؤمنين. وهو لباس العزة. فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2]. وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) فاطر: ١٠.

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[١].

قال رسول الله ﷺ: «من أتى ذا ميسرة فتخشع له طلبا ما في يديه ذهب ثلثا دينه»[٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من أتى غنيا فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أيّما مؤمن خضع لصاحب سلطان أو من يخالفه على دينه، طلبا لما في يديه، أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه، وصار في يده منه شيء، نزع الله البركة منه....»[٤]

*****

(١) المنافقون: ٨٠.

(٢) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٧٣ / ١٦٩.

(٣) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ١١ / ١٨٢.

(٤) المصدر السابق.

-٩-

الشيعة من هجروا مجالسة الأشرار

وهو مما يترتب على حب الإخوان ـ يا ولدي ـ من النزاهة الشاملة للظاهر والباطن، باجتناب كلّ من تقرّب مجالسته من النار.

إذ ما من إنسان إلا ويعرف من خلال خلطائه وقرناء مجلسه، إن كانوا من أهل الصلاح والإصلاح فقد عمرت بهم القلوب وسترت بهم العيوب فبهداهم اقتده، وإن كانوا من أهل الدناءة والشر، فهم سبب كل تهمة لمن جالسهم، وكل ريبة لمن خالطهم.

عن أبي جعفر، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «**مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، ومجالسة الفجار للأبرار تلحق الفجار بالأبرار، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن لم يكونوا على دين الله فلا حظّ له في دين الله**»[1].

والأشرار عنوان عام يشمل عدّة مفردات، قد حذرت منها نصوص أهل البيت عليهم السلام فعلى المؤمن تجنبها:

---

(١) مستدرك الوسائل - للنوري -: ٨ / ٤٤.

١ـ **مجالسة السفهاء**: وهم الذين خفت عقولهم، وحملهم الجهل والطيش على مواضع الهلكة، قال رسول الله ﷺ: «**العافية في عشرة أشياء، تسعة في الصمت إلا عن ذكر الله، والعاشرة في ترك مجالسة السفهاء**»(١)

٢ـ **مجالسة من أطغاهم الغنى**: لأن الغنى والثراء في الأعمّ الأغلب سبب لإعراض الإنسان عن ربه وانشغاله عن فروضه، ما لم يتوجه المال - في كيفية اكتسابه وإنفاقه - بتوجيه السماء، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ومجالسة الموتى**، قيل: يا رسول الله من الموتى؟ قال: **كلّ من أطغاه غناه**»(٢).

٣ـ **مجالسة أهل اللهّو**: وهم الذين شغلهم لعبهم وطربهم عن ذكر الله عز وجل، فأضاعوا الصلاة واتبّعوا الشهوات، فعن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث طويل: «..**وإياك ومجالسة اللاهي المغرور بلعبه، فإنه من المجالس التي باء أهلها بسخط من الله يتوقعونه في كل ساعة، فيعمك معهم**»(٣)

٤ـ **مجالسة شارب الخمر**: لأن أهل الخمر يجمعهم مع عباد الأوثان جامع مشترك، هو ذهاب العقل وموت البصيرة، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قوله: «**شارب الخمر كعابد الوثن**»(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تجالسوا شارب الخمر فإنّ اللعنة إذا نزلت عمّت من في المجلس**»(٥).

---

(١) مجموعة ورام: ٢ / ١١٢.
(٢) مجموعة ورام: ٢ / ٣٢.
(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٧٦ / ٢٣٤.
(٤) مستدرك الوسائل - للنوري -: ١٧ / ٤٧.
(٥) الوسائل - للحر العاملي -: ٢٥ / ٣٧.

٥ـ مجالسة أهل الخصومات والجدل: لأن الخصومة والجدل يضل عن الله ويدخل الإنسان في الباطل ويجرّه إلى تحريف الحقائق، فقد جاء عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قوله: «**لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله**»[1].

*****

(١) كشف الغمة - للأربلي -: ٢ / ١٢.

-١٠-

الشيعة أهل الصلة والمواساة

عن ابن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها؟ وإلى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدوّنا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها**»[١]

عن أبي إسماعيل، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك، الشيعة عندنا كثير. فقال عليه السلام: «**فهل يعطف الغني على الفقير، وهل يتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون؟** فقلت: لا. فقال عليه السلام: **ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا**»[٢].

إنّ الصلة والمواساة ـ يا ولدي ـ بين أعضاء الأسرة الواحدة دليل على تراحم أعضاء تلك الأسرة، وعلينا أن نعتقد أن ليس هناك أسرة أراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لها صفة التراحم والصلة غير الأسرة الشيعية.

لأنّ هذه الصفة تنبع من طبيعة الخط الذي يجمع هذه الأسرة، لأن اجتماع هذه الأسرة لم يكن كاجتماع أي أسرة أو حزب أو هيأة.

---

(١) مستدرك سفينة البحار – الشيخ علي النمازي –: ١٢٣ / ح / ١.

(٢) الوسائل – للحر العاملي –: ٩ / ٤٢٨.

فإنّ الهيئات والأحزاب والتجمعات الأخرى لم تقم على أسس ومحاور رسالية أو إنسانية عامة، فالماركسيون، علاقتهم بالحزب قائمة على أساس كون الحزب يمثل طبقة خاصة من المجتمع. فرضتها حركة الصراع الديالكتيكي، أي التناقض الطبقي.

والديمقراطيون، يتمحور ولاؤهم على أساس الحرية المطلقة والمنفعة الخاصة للفرد، والدكتاتوريون، يوالون الفرد الحاكم إذا كان الأقوى والأقدر، كما أن الأكاسرة يدور ولاؤهم للحاكم بصفته حاكما يمثل الحاكمية المطلقة، ويمثل الظل الإلهي مهما كان شكل هذا الحاكم ومنهجه.

أمّا اجتماع الأسرة الشيعية ـ يا ولدي ـ فهو على أساس كون أهل البيت عليهم السلام يمثلون خلافة الله عزّ وجل في الأرض، وهي خلافة مفترضة الطاعة على الناس، فمن ضمن الوظيفة التبليغية لأهل البيت عليهم السلام، أنهم علموا شيعتهم أن يتحابوا فيما بينهم ، لا بالقول والدعوى فحسب، وإنما بواقع التطبيق والتعامل على مستوى الصلة والمواساة كجزء أو ثمرة من رسالة الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه معجزات النبي صلى الله عليه وآله: «**وأنّ ابن أبيّ سَمَّ طعاما، ودعا النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ليقتلهم، فدفع الله عنهم غائلة السم، ووسع عليهم البيت، وبارك لهم في الطعام**».

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**إني إذا تذكرت ذلك البيت كيف وسعه الله بعد ضيقه، وفي ذلك الطعام بعد قلته، وفي ذلك السم كيف أزال الله تعالى غائلته، أذكر ما يزيد الله تعالى في منازل شيعتنا وخيراتهم في جنات عدن في الفردوس**».

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن من شيعتنا لمن يهب الله له في الجنان من الدرجات والمنازل والخيرات مالا يكون الدنيا وخيراتها في جنبها إلا كالرمل في البادية الفضفاضة.**

فما هو إلا أن يرى أخا له مؤمنا فقيرا فيتواضع له ويكرمه ويعينه ويمونه ويصونه عن بذل وجهه له، حتى يرى الملائكة الموكلين بتلك المنازل والقصور، وقد تضاعفت حتى صارت في الزيادة كما كان هذا الزائد في هذا البيت الصغير الذي رأيتموه فيما صار إليه من كبره وعظمه وسعته، فتقول الملائكة: يا ربنا لا طاقة لنا بالخدمة في هذه المنازل فامددنا»[1].

*****

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٨ / ١٤٧.

-١١-

الشيعة هم أصحاب العاقبة

فقد تسأل ـ يا ولدي ـ: ماذا تعني العاقبة؟. فأقول: إنّ العاقبة هو ما يعقب الشيء ويخلفه، كما تقول: عقب الليل النهار والنهار الليل. وعاقبة كل شيء وعقباه. أي: آخره ونهايته، والعقبى جزاء الأمر، حتى قيل: العقبى أو العاقبة لك بالخير.

وعلى هذا. فإن العاقبة للمتقين كما سيأتي بيانه، حيث ركزت النصوص الشريفة، من الآيات الكريمة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام على هذه العاقبة.

وهي تؤكد الرّبط بين وجود الشيعة وموقعهم في الرسالة والتأريخ، وبين موقعهم الآخر في نيل خير العاقبة، ممّا يتعاظم معه هذا الوجود، وتكبر معه مسؤولية العمل والأداء من أجل الصعود إلى هذا الموقع، واعلم ـ يا ولدي ـ أن العاقبة للشيعة في هذه النصوص على مستويين:

الأول: الشيعة وعاقبة العاجل:

فقد قال الله عزّ وجل: ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ**

لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وفي الأخبار (أن الآية في الأئمة عليهم السلام يورثهم الله الأرض في زمن القائم -عجل الله تعالى فرجه- وهم المتقون والعاقبة لهم)[٢] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٣]

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، أنه أوصى بعض شيعته فقال: «**يا معشر شيعتنا اسمعوا وافهموا وصايانا وعهدنا إلى أوليائنا، أصدقوا في قولكم، وبروا في أيمانكم لأوليائكم وأعدائكم، وتواسوا بأموالكم، وتحابوا بقلوبكم... إلى قوله عليه السلام: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وأن الأرض لله يورثها عباده الصالحين**»[٤]

ويدور السؤال ـ يا ولدي ـ: أين ومتى تكون هذه العاقبة، وقد مضت العصور وانصرمت الدهور على ألوان من الأذى والمعاناة لشيعة أهل البيت عليهم السلام تحت نير الأحكام الجائرة؟.

فأقول: إنّ هذا الوعد لا يخضع لقياس أوسقف زمني كما تخضع أفعالنا وشؤوننا، وإنما يخضع للحكمة الربانية والإرادة الإلهية في الخلق من ناحية، ومن ناحية أخرى، يخضع لشروط التغيير التي من ضمنها الصّبر على الأذى، والتمسك والثبات على أسس هذا المعتقد.

---

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي -: ٦٦ / ٣٥٤.

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

(٤) دعائم الإسلام - للنعمان التميمي المغربي -: ١ / ٦٤.

فعن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، بكم يفتح الله هذا الأمر وبكم يختم، عليكم بالصّبر فإن العاقبة للمتقين، أنتم حزب الله، وأعداؤكم حزب الشيطان، طوبى لمن أطاعكم وويل لمن عصاكم...»**[1]

وقال الإمام الحسين عليه السلام: **«منا اثنا عشر مهدياً أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق يحيي الله به الأرض بعد موتها، يحق الحق ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون، فيؤذون ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أما أن الصّابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»**[2].

أما كيف ينسجم الإنسان المؤمن مع زمن الغيبة ـ يا ولدي ـ وكيف يتعامل مع طول هذا الزمن، ومجهولية انتهائه، فهذا هو المهم معرفته، وذلك: علينا أن نعرف ما هو حجم المسؤولية الملقاة على المؤمن، في زمن يفتقد فيه المشاهدة والتعايش المباشر بينه وبين الإمام عليه السلام.

وهي حالة من أدق الحالات الاختبارية التي يستطيع المؤمن أن يجرّب إيمانه في الطاعة لقيادته الغائبة، ولذلك جاء في الحديث الشريف **«خير الجهاد في آخر الزمان انتظار الفرج»**.

إذ تعتبر مسألة الانتظار من أمرّ المسائل وأقساها في حياة أيّ إنسان، فكيف لو كانت على مستوى تقرير المصير العام للأمة؟ فلا يتحسس مرارتها إلا الذين يتعايشون مع القضايا الاجتماعية والسياسية الهامة، ويتحسّسون حالة الفراغ التي تعيشها الأمة،

---

(١) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٢٣ / ١٤٢.

(٢) معجم أحاديث المهدي – مؤسسة الكوثر –: ٤ / ١٦٣.

والضّياع الذي يلقي بها هنا وهناك.

أما الذين لا همّ لهم إلا أنفسهم ودنياهم ـ يا ولدي ـ فتراهم يسرحون ويمرحون ويلعبون. ويخوضون في كلّ نادٍ ووادٍ، لذلك فما على المؤمن الذي يهمّه أمْر الأمة، إلا أن يأخذ بعين الاعتبار عدّة أمور:

الأول: ضرورة الانضباط والالتزام بخط العقيدة الإسلامية، والشعور بالمسؤولية انطلاقا ممّا تمليه عليه العقيدة والرّسالة.

الثاني: اعتبار هذه المرحلة من الغياب الطويل للإمام عليه السلام مرحلة إعداد وتربية، جديرة بالتعاهد والالتزام لتكون عاملا لتعجيل الخلاص من خطر الضّياع وتحقيق الانفراج على يد الإمام عليه السلام.

الثالث: أن يعلم الإنسان المؤمن ـ يا ولدي ـ أن هذا الواقع الذي عليه الناس، من التفكك والفراغ الفكري والأخلاقي، ما هو إلا عامل من عوامل السخط والغضب الرّباني، ممّا يؤخر عملية اللطف بهذه الأمة ، كما هو مقتضى السنن التاريخيّة. قال عزّ وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[1]

الرابع: على الإنسان المؤمن ـ يا ولدي ـ أن يشبع هذه المرحلة بالتتبع والدراسة وطلب الحجة، لتأكيد هذه القضية أمام المشككين والمناوئين. الذين يعدّون هذا الأمر لوْناً من ألوان التخريف والخيال، لاسيما وأنّ هذا الأمر أمر اعتقادي، والأمور الاعتقادية تحتاج إلى الوسائل البرهانية.

الخامس: على الإنسان المؤمن ـ يا ولدي ـ أن يشبع هذه المرحلة بالدعاء والانقطاع

---

(١) الأعراف: ٩٦.

إلى الله عزّ وجل، أن يعجل للأمة خلاصها، وأن لا يؤاخذها بما كسبت فيؤخر عنها ما عجل لها من الخير، أو يعجل لها ما أخّر عنها من العذاب.

الثاني: الشيعة وعاقبة الآجل:

قال الله عزوجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١)

وكلمة﴿تِلْكَ﴾ أداة إشارة للبعيد، بينما كلمة (هذه) إشارة للقريب، وإن لكل من الأداة والحرف في القرآن الكريم مدلولاً يرمز إليه، فليس اعتباطاً ـ يا ولدي ـ أن يقول الله عزوجل: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٣).

ولكنّ لكل موضع ما يناسبه من أداة ـ يا ولدي ـ ففي الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إبعاد وتنزيه للكتاب الكريم عن الريب حتى على مستوى اللفظ، وفي الإشارة بـ ﴿هَذَا﴾ تقريب للقرآن الكريم من فطرة الإنسان، بصفته كتاب هداية يتناغم مع فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وليس اعتباطاً أن يقول الله تعالى في موضع الإشارة إلى الحياة الدنيا: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾(٤)

---

(١) القصص: ٨٤.

(٢) البقرة: ٢.

(٣) الإسراء: ٩.

(٤) غافر: ٣٩.

وفي موضع الإشارة إلى الآخرة قال عزوجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إشارة إلى بعدها، ولكن أيّ بعد هذا؟، هل هو البعد الزماني والله عزوجل يقول: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[1]، أم هو البعد المكاني، بمعنى أن الإنسان لا ينالها إلا بالسعي ليالي وأيّاماً، كما لو أراد السفر إلى نقطة بعيدة من نقاط العالم؟!.

كلا، لا هذا ولا ذاك، وإنما هو بعد المقام المعنوي، إذ كم من مقام قريب منك لا يتسنى لك الدخول إليه لاعتبار معيّن، وكم من مقام بعيد تستطيع الوصول إليه لاعتبار آخر، ولكن لا يحق لغيرك ـ وإن كان قريبا منه ـ أن يدخله لاعتبارات أخرى أيضاً.

فالدار الآخرة لا يحق لكل أحد دخولها، وإنما جعلها الله تعالى للمتقين، فأصبح نيل هذا المقام بعيداً إلا على الذين آمنوا واتقوا، وتحمّلوا مكاره الحياة ومعاناتها، ولم يدّخروا جهدا إلا وبذلوه في التقوى والطاعة لله عزوجل.

ولا شك ـ يا ولدي ـ في أن طليعة المتقين هم شيعة أهل البيت عليهم السلام لما جاء في تفسير الإمام عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال: «**بيان وشفاء للمتقين من شيعة محمد وعلي، إنهم اتقوا أنواع الكفر فتركوها، واتقوا أنواع الذنوب الموبقات فرفضوها، واتقوا إظهار أسرار الله تعالى وأسرار أزكياء عباده الأوْصياء بعد محمد صلى الله عليه وآله فكتموها، واتقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقين لها وفيهم نشروها**»[2]

وعن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ قال: «**لولاية علي عليه السلام فردّ الله عليهم ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ**

---

(١) المعارج: ٦.

(٢) مستدرك الوسائل – للنوري –: ١٢ / ٢٩٦.

مِنَ الْكَافِرِينَ﴾»[١]

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ...﴾ الآية، قال: «**أنتم والله هم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا يثبت على ولاية علي عليه السلام إلا المتقون**»[٢].

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**يا عباد الله إن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم**»[٣]

وعن المفضّل بن عمر، قال: سئل سيدي جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله تعالى ـ في محكم كتابه ـ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ قال: «**هي في عليّ وأولاده وشيعتهم، هم المتقون وهم أهل الجنة والمغفرة**»[٤]

قال أبو الحسن علي بن محمد بن قولويه، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد، عن حمران بن عبد الحميد، عن محمد بن صدقة، عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن الحسين بن علي عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تعالى لما خلق جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت ثم ماست فقال لها قري فوعزتي وجلالي ما خلقتك إلا للمؤمنين، فطوبى لك وطوبى لسكانك» ثم قال: «**يا علي أنت أمير المؤمنين و شيعتك المؤمنون، والذي بعثني بالحق نبيا يا علي ما**

---

(١) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٣٥ / ٤٠٣.

(٢) تفسير العياشي – محمد بن مسعود بن عياش السلمي –: ١ / ٢٠٠.

(٣) مستدرك الوسائل – للنوري –: ١١ / ٢٦٦.

(٤) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٧ / ٢٠٢ عن تفسير فرات – فرات بن ابراهيم: ص: ١٥٨.

خلقت جنة عدن إلا لك و لشيعتك»[١]

اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته الهادين، الأطهار الصادقين، الأبرار المتقين، دعائم دينك، وأركان توحيدك، وارزقنا مرافقتهم في دار النعيم، ولنعم دار المتقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*****

(١) التحصين - لإبن طاوس -: ١ / ١٠.

المصـادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة.....الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

أعلام الدين في صفات المؤمنين.....أبو الحسن الديلمي

أمان الأمة من الإختلاف.....لطف الله الصافي

الأمالي.....الشيخ الصدوق

الإختصاص.....محمد بن النعمان العكبري

بحار الأنوار.....العلامة المجلسي

تفسير الأمثل.....مكارم الشيرازي

تفسير العياشي.....محمد بن مسعود بن عياش

تفسير القرطبي.....أبو عبدالله بن فرح القرطبي

تزكية النفس.....السيد الحائري - دام ظله -

تاريخ الفقه الجعفري.....هاشم معروف الحسني

تحف العقول.....الحراني

تنبيه الخواطر..... مجموعة ورام

التحصين.....إبن طاووس

التفسير الكبير.....الفخر الرازي

الخصال.....الشيخ الصدوق

دعائم الإسلام.....النعمان بن محمد المغربي
الدر المنثور.....الإمام السيوطي
ربيع الأبرار.....الزمخشري
رسالة في فضائل الشيعة.....الشيخ الصدوق
شواهد التنزيل.....الحسكاني
شجرة طوبى.....محمد مهدي الحائري
علل الشرائع.....الشيخ الصدوق
غريب بحار الأنوار.....العلامة المجلسي
غرر الحكم ودرر الكلم.....الآمدي
قصص الأنبياء.....نعمة الله الجزائري
كلمات الإمام الحسين.....الشيخ الشريفي
كنز العمال.....المتقي الهندي
كشف الغمة.....علي بن عيسى الإربلي
الكافي.....للشيخ الكليني
الكشكول.....البهاء العاملي
لسان العرب.....إبن منظور
اللهوف.....إبن طاووس
مصباح الشريعة.....المنسوب للإمام الصادق
مستدرك سفينة البحار.....الشيخ علي النمازي
مشكاة الأنوار.....أبو الفضل الطبرسي
مستدرك الوسائل.....المحقق النوري

ميزان الحكمة.....محمد الريشهري
موسوعة الإمام الجواد.....الحسيني القزويني
منية المريد.....الشهيد الثاني
معجم أحاديث المهدي.....مؤسسة الكوثر
وسائل الشيعة .....الحر العاملي

المحتويات

الإهداء	٣
المقدمة	٧
المحور الأول/ وقفة مع مقاطع الآية الكريمة	١١
الآية في مقام الوعد	١٣
الإيمان حركة في الحياة	١٧
هل المؤمن أفضل من الملائكة؟	١٩
ما جزاء المؤمن عند ربه؟	٢١
ما هي ودائع المؤمن عند ربه؟	٢٥
١ـ جنات	٢٥
٢- عدن	٢٥
٣ـ الأنهار	٢٨
٤ـ الخلود	٣٠
المحور الثاني/ الشيعة هم مركز الثقل في الآية	٣٣
مع سبب النزول	٣٥
الشيعة هم سادة الأرض	٣٧

الشيعة هم الصّالحون المصلحون	٣٩
الشيعة هم أهل الإخلاص	٤٣
الشيعة هم أحباب الله	٤٩
الشيعة هم أهل التوبة	٥٥
الشيعة هم أهل الدعاء إلى الله	٦١
المنطلق الأول:	٦٢
المنطلق الثاني:	٦٤
الشيعة هم أهل الأمل والرجاء	٦٧
الشيعة هم أهل الخشية من الله	٧٥
الشيعة هم أهل الصبر	٨١
الشيعة هم مصابيح الدّجى	٨٧
الشيعة هم أهل الشرف من العرب	٩١
الشيعة هم المستضعفون	٩٥
الشيعة هم حزب الله الغالبون	١٠١
الشيعة هم الشهداء على الناس	١٠٥
المحور الثالث/ مسؤولية الشيعة تجاه رسالتهم	١٠٩
المسؤولية من خلال الموقع	١١١
الشيعة هم أهل الطاعة والورع	١١٣
الشيعة هم أنصار الله	١١٧
الشيعة هم أهل الوفاء والصدق	١٢١
الشيعة أهل الصبر على الحق	١٢٥

الشيعة من كَفّوا عن فضول الكلام ١٢٧
الشيعة هم أهل الخلق الحسن ١٣١
الشيعة هم أهل الحب لإخوانهم ١٣٥
الشيعة هم أهل التواضع ١٣٧
الشيعة من هجروا مجالسة الأشرار ١٤٣
الشيعة أهل الصلة والمواساة ١٤٧
الشيعة هم أصحاب العاقبة ١٥١
المصـــادر ١٥٩